خـــلـــجـــا ت

المرحوم الأب يوسف حبّـــــي

نشر الأب حبيب هرمز – لندن

2008

هذه مساهمة بسيطة من موقعنا

الألكتروني

www.chaldean.org.uk

وفاء للمرحوم العلامة الأب يوسف حبي

ارجو من القارئ ان يصلي لأجله ولأجلنا كي
تدوم شعلة الوعي والثقافة الأصيلة والتقدم
لأبناء كنيسة المشرق في العالم، وشكرا للأخت
التي تولت طبع الكتاب اينما هي اليوم

الأب حبيب هرمز النوفلي

ا لا هـــــــــد ا ء

الى كل من يشعر بالجو ع والعطش

الى...

(اذكر ما تشعر بجوع وعطش اليه)،

اهدي هذه الخلجات.

طريقة القراءة:

هناك طريقتان :

1- ان تقرأها من الالف الى الياء، وتباعا.

2- ان تختار اي رقم، وتقرأ ما تستطيبه الذات.

ليتك تضيف امورا، تأملا، وحتى كتابة.

تقديم:
مـــــن ا لا عمـــــــا ق

1. في البدء كلمة...وشرح وايضاح. اذ ما فائدة الكلمة ان لم تكن واضحة.

ان حدثتك بلغة غريبة فانك ستسمعني، لكنك لن تفهم شيئا مما اقول. فهل تحدثنا؟

هو تماما ما حدث ويحدث لنا. هل بوسعك ان تستذكر كل ما سمعت اذناك، منذ اول لحظة كان السمع فيك ممكنا وحتى اليوم؟ ستجيبني : طبعا لا، فهذا شبه مستحيل. انه ما يحصل لكل منا، كل الايام، منذ اللحظات الاولى وحتى الساعة هذه. واذن، فما العمل ؟

بل : ما الموقف ؟ قد يكون العمل ممكنا كل حين، سواء كان جيدا ام خاطئا، اما اتخاذ موقف من الامور، وفي الحياة، فهو الاهم. اليس هذا صحيحا ؟

هكذا الامر ان كلمّنا الله بلغة لا نفقهها. وهل لغة الله مفهومة من قبل البشر؟ لن تكون مائة بالمائة، في كل الاحوال وكل الاعراف والديانات، والا تساوى الله والبشر، فارتفع الانسان الى منزلة الله، او انخفض الله الى مستوى البشر. وهو مستحيل، وفي الوقت عينه فهذا هو المطلوب. وهذا هو سرّ "الكشف" الالهي، ما يسمى عادة ب "الوحي".

ولاننا مؤمنون، ستكون هذه الحوارات ومضات، اضاءات، كلمات بل تمتمات وهمسات، فيها الكثير من الله والكثير من الانسان، او ربما القليل ، ان بقيت جامدة، حرفا، وخيالا. لكننا نريدها في كل الاحوال "ذاتية"،

فنحن مع الفكر الحديث والمعاصر: الذات مصدر كل شيء، شرط ان لا نفهم بذلك حذفا واستبعادا لكل ما عداها، انما الكل يدخل فيها، ومنها ينبغي ان ينبع، ليس كمصدر وحيد، بل بعد وعي، وقناعة، ونضوج.
ليست الذات كل شيء، بل بها يتمّ الكشف الذاتي لكل شيء. لذا فبالنسبة انا كل شيء هو بفضلها دون الغاء للموضوع، لكنه موضوع ذاتي، ان صحّ القول. المهّم هو ان اكون انا وانت من نعي ونتذّرك ونتحدث، كما نقتبل ونتفاعل وننمو. انه الحوار الحق.
اللهم، اجعلها اشراقات، كلمات، والحانا.

2. لكنها خلجات، من اعماق الفكر والقلب، من اعماق الروح والوجدان، من اعماق الذات. وما اروع خلجات الذات. الم تجربوّها وتختبروها وتنعموا بها وتسعدوا ؟ لو حاولتم مرة ومرات... انها منتهى السعادة.

3. والغاية من هذه الكتابات الوجيزة، المركزّة، بل المتناثرة: ان تكون حوارات.
ما الحوارات ؟ الحوارات جمع حوار، على قلّة استعماله جمعا، ولعل اللغة مصيبة في هذا، فالحوار هو الحوار، مهما تعدد وكثر.
والحوار يتطلب اثنين. والحاجة الى واحد. انما الاثنان في الحوار الصحيح واحد. ونلتقي على خير وانسجام. والحوار يتطلب الكلام. والكلام فكر ونطق ومعنى. فمن يحاور يحتاج الى كل هذا، واكثر، كما سيبان من خواطر لاحقة، وخلجات تنبثق من الاعماق.

والكلام هو ايضا تمتمة، وهمسة، ونغم، وصدى اعماق. اشكال الكلام كثيرة، ليست قيمتها في الشكل والاسلوب، بقدر قيمة معناها، في عمقها، اصالتها، ابعادها، آفاقها.
والخواطر والخلجات في الاساس من هذه الحوارات، لا الحوارات بمعنى تحاور اثنين يصل بهما الكلام الى الخلاف والمحاججة، او الى الاقناع الداعي الى تقريب وجهات نظر متباينة.

4. ما الخاطرة؟ ما قد يتبادر الى الخاطر، والخاطر هو الذهن والذاكرة والتفكير، ياتينا بطريقة عفوية،
ولكن لا غريزيا، بل عقليا وانسانيا. ولن امضي فاحلل المعاني العديدة والعميقة للخواطر، فموضوعنا لا يقتضي ذلك، والهدف الاول هو : ارسال ومضات، لمعت في اجواء الذات، عبر خبرة ليست بالقليلة الهينة، لتنطلق في غياهب عالم معاصر بحاجة الى مزيد ومزيد من النور، لان التحديات كثيرة، منوعة، وقاسية. لكنها ومضات رجاء، لا يمكن ان يعرف القنوط واليأس مهما اشتدت حلكة الظلمات، فهناك ما هو اعظم، واقوى، واجمل. ولعلي اخطات، اذ الاحرى ان اقول: ان هناك "من" هو اعظم، واقوى، واجمل. وسترينا هذه الومضات بعض المعاني العميقة للعظمة، والقوة، والجمال، المقصودة هنا، فهي ليست مؤكدّا بالمعاني العادية التي يصطلح عليها عادة اناس عالمنا.
وهي خواطر فكرية، روحية، ايمانية. لان خواطر ثقافية عامة يضمّها كتاب غير هذا، ولان البعد الفكري والروحي والايماني اعمق مما قد

يتصور بعضهم، ولانه في هذا البعد العميق يصعب تقديم شيئا اكثر من ومضات واشراقات ، انطلاقا من خواطر... اما من يدّعي فهم، واستيعاب، وشرح الفكر والروح والايمان ، فهو واهم، بحسب قناعتي. وليتركني اكتفي بهذا القدر من اشارات ضوئية اسلّطها هنا وهناك، علّ امورا هامة في الحياة تكتسب وضوحا اكبر وعمقا اجمل.

5. وبعد، فهي خلجات، تنبعث من اعماق الكيان، لتنصبّ في الافئدة والعقول، وتذكي. فتلتقي الخواطر بالخلجات، متزاوجة بانسجام يخلق معزوفة نور وحب.

وسيلاحظ المتأمل كم اني لا اطيق الازدواجيات من اي نوع، وصنف، ولون. انها، حسبي، شر البليّة. لذا فان التاكيد على "خواطر"، او على " خلجات" لسبب بل لاسباب تود تخليصنا، قدر الامكان، من عقد عديدة، من منا ليس مبتليا ببعضها؟

ولا يحسبنّ احدنا ان الخلجات تمسّ العاطفة ليس الا، فهي ان تركزّت على الحس والقلب، لن تغدو انسانية الا متى كانت عقلانية ايضا. وهو ما ستجلوه هذه الحوارات بالحاح.

6. ورب مدقق ينبّه الى ان الخواطر تخص عالم الفكر والمعرفة، والخلجات عالم الحس والعاطفة والقلب، ونعود مرة اخرى الى التاكيد: اننا ناخذ طبعا بتباين الابعاد في الانسان، لكننا لا نقبل التنا قض والتضاد

المؤذيين. ونحن على يقين ان ابعاد الانسان تتعاطف، تتحاور، لتتلاقى فتنسجم، مكوّنة الواحد، فهو الاساس والهدف.
ولعلي اكشف سرّا اذ اقول: ان هذه الحوارات "عفوية"ن ليس بمعنى غريزي شبه حيواني، بل بنفي ما هو مصطنع احيانا في عالم المعرفة والكتابة. لقد توخّيتها صادرة من الاعماق، بسياق لا يتعمد التهيؤ وتنميق الاسلوب والعبارة وبلورة الافكار والطروحات. فهل هو النهج الافضل؟
انه اكثر من نهج. انها حياة، بل خبرة حياة، بل عمق خبرة، بل حياة عمق. وتتساوى التعابير، وان اختلفت، لاننا، اذ نكتب بتلك العفوية العميقة، فاننا نتحاور، حتى مع الذات، باصالة وأفق، وعمق الجذور، ووسع السماء. ولان مدارنا متسام، كان لا بدّ من جديد، هو قديم كالحقيقة، شابّ كالحريّة، خالد كالحياة.

7. انها "اشارات "، واتمناها ضوئية اكثر من اي شيء آخر. انتم تعرفون فوائد الاشارات الضوئية. لولاها لحدثت كوارث كل يوم. والاشارات تدل لا غير، وتترك لك المجال، لكي تسير انت، وتنطلق على هواك، بل على ما ينبغي ان تتجه نحوه، وتسلكه وصولا الى ما هو جيد ورائع. وهي رموز ودلائل ذات معا،. وهل نسيت ان المعنى هو الذي يصنع الوجود، اقله الجديد الممتلىء قيمة وعظمة؟

8. وهي "اشراقات "، والاشراقة من الشروق، من الشمس. وهل ابهى من الشمس ؟ انها حياة الكون، طبيعيا، رمزيا، وروعة هدف. ولانها من

"الذات" فهي صميمة، حميمة، وفاعلة، تصنع الاشياء والاشخاص والقيم والخلود. لانك عندما تشرق ذاتيا، تحقق ذاتك فتصنعها، ويسهل عندئذ ان تصنع الاشياء، وتجعلها رائعة ذات قيمة خالدة، لانها منبثقة عن اعماق هي وعي وحب وخلود.

9. لكنها قبل وفوق كل شي " ومضات ". ليست انوارا، ولا نورا. فهذا شيء كثير. وهي اقل من القليل.
فالمشكلة ان تتصور الكثرة وتستهين بالقلة، وتكبر في عنيك العظائم، وتحتقر الصغائر. في عالم الايمان الحق : لا شيء هو صغير. كله كبير وعظيم، لانه ذو معنى، وهو ذو قيمة.
وان تكون حوراتنا هذه، خواظرنا، خلجاتنا ومضات واشراقات لهو شيء عظيم.
وانساننا المعاصر بحاجة بالضبط الى ومضات واشراقات. لقد عرف النور والشمس، وانبهر بل احرقته، لكنه لم يحظ بالوضوح والفجر، لم يبلغ الوعي المنير، لم يقو على حب كبير. لقد اخافته البروق، وشتته الشعاعات، وانهكه الحرّ الشديد، لكنه لم يلق ومضة تومىء اليه بدرب، مهما كان ضيق مساره ووعورة مفاوزه، يسلكه آمنا، لان الومضة المبشرّة ومضة حب خالد. ولان ومضة كهذه نادرة، اكثر من الجواهر واللالىء، لم يعرف ان يلقاها في دروبه العريضة المنفسحة وسط حياى صاخبة مشتتة. ففقد ضالتّه المنشودة، وتاه، وقال انه ليس من معنى للحياة والوجود، وليس من حقيقة ومصداقية في الكلام والعمل والحب، وانتابه

القلق، بل اليأس، والسأم، والتقيؤ، فالاغتراب،، والحرمان، والموت الزؤام.
اما الومضة المنيرة، الهادئة، الوادعة، الهادية الى الطريق السوي، والمؤشرة الى قلب نور هي شمس حق وبحر حب، فهي كلمة، خاطرة، خلجة، حوار، بل حياة ووجود وحب. فكيف ان غدت ومضات؟
مثل هذه الومضات، ربنا، اكثرها لنا جميعا، فانّا بحاجة اليها، كما الى الماء، والهواء، والغذاء، والحياة، والحرية، والحق، والحب.

10. هو المنطلق، هو المسار، وهو المبتغى. وهنيئا لنا ان نحن حققناه.

(1) الايـــــمـــــــــــان

ابدأه مجردّا، وبنوع متعمّد. فقد كثر الحديث والكتابة عنه بالشكل التجريدي النظري، وهي واحدة من اهم مشاكل الايمان وأزماته.
بينما الايمان، لم يكن، ولا ينبغي ان يكون اطلاقا قضية نظر وتفكير وبحث مدرسي. انه مسالة وجود. والفرق بين الامرين عظيم جدا.
بوسعك ان تلمّ بكل ما يخص النمل والنحل، والاشجار والبحار...وتبقى معلومانك نظرية. ويمكنك ان تكون عالما رياضيا كبيرا، وانت "لا تؤمن" بالعدد والارقام والنظريات الرياضية. ليس بمعنى انك لست "عارفا"، ولا لانك لست "متأكدا"، بل وليس لانك لست "مقتنعا" من علمك، بل لان هذه كلها لا يمكنها ان تغدو "انت"، حتى لو صارت قطعة من تفكيرك،

واهتماماتك، ووجودك. انهان في افضل الاحوال، ستبقى في عالم حياتك التجريدي النظري، ولا يمكنها ان تؤثر على مشاعرك وحياتك في الصميم. او على الاقل: بوسعك ان "تفصل" بين "عالميك": الحياتي الوجودي، والفكري النظري. بينما يستحيل عليك ان تمنع تاثير العاطفة والمشاعر على كيانك الواقعي وحياتك العميقة الا ان كنت شاذا، انفصاميا.

الايمان : وعي وحب.

والوعي غير الفكر. فانت تستطيع ان تحتضن كل الافكار والمعلومات، تخزنها كالحسابة (الكمبيوتر) وتعيدها متى تشاء، بل تصوغ منها اخرى: شبيهة، مفارقة، متشعبة، لكنك ستبقى نظريا، اذا لم تستوعب هذه المعلومات، وتهضمها، فتتحول فيك دما ينفح حياتك معنى وجود.

ويمكنك ان تمتلك جملة لغات، وقدرا كبيرا من العلم والمعرفة، وتكون ناجحا في حياتك الفكرية والعلمية، الادبية والفنية، وتظل مع ذلك بعيدا عن حقيقة العلم والفكر والثقافة، حين ينقصك "حب" المعرفة والعلم والانسان.

اليك التطبيق البسيط والمباشر. بوسع احدهم ان يعرف كل شيء عن الله، واكثر بكثير من اي "متدين"، والافضل ان نقول : من اي "مؤمن". ولكنه لا "يحب" الله. فهل تعتبره "مؤمنا" بالله؟ الجواب بالتاكيد: كلا.

عليك اذن ان تحولّ تفكيرك ومعلوماتك وحتى علمك عن الله الى وعي، وان يغدو وعيك لله حبّـــا.

وستاتيك حوارات أخرى عديدة لتشرح لك ذلك.

لست اريدك ضيّق النفس والخلجات. وسّع مداركك وافقك، وستلقى ان الايمان يشمل ذاتك برمتها، وجودك، عملك، آمالك، حياتك، وسعادتك.

الايمان رؤية نيّرة تكشف لك جمالية لا يمكن لغير المؤمن ان يحظى بها. والايمان مذاق يعرفه من قد تطعّم بثمر ناضج طيّب، والا فانه يظن حتى الفجّ والتافه ذا طعم جيّد. وهذا هو الفرق الاساسي بين المؤمن وغير المؤمن. وحده المؤمن يعرف ما يمتلك، بل ما هو عليه، ويتذوقّ بنكهة خاصة عظمة الايمان، سمّوه، حلاوته، ابعاده، وان سعادته هي حقا في الايمان.

(2) نـــــؤ مـــــــــــــــــــــــــــن

ايختلف هذا عن الحوار السابق ؟ كثيرا.

السابق نظري تجريدي يملّ البعض من نهجه وعسره، وهذا ككعكة طيبّة يستسيغها الاطفال بل ويسيل لعابهم طويلا قبل واثناء وبعد ان ياكلوها! وهنيئا لمن يصبح كالاطفال لاسيما في الايمان. وهنيئا لمن ياكل الايمان زبدا وعسلا.

والكثير الذي في الحوار الحالي هو واقعي، وجودي، حياتي.

لا الايمان مجردا نظريا وكأنه غريب عن عالم كياننا ولا يمسّ الاعماق، بل "انا" من يؤمن، فهو فعل شخصي. وما قيمة الافعال ان لم تكن شخصية؟

تلمس يدك كل شيء وانت غير منتبه، فلا قيمة للمس والغعل. وتلمس بحنوّ فتبعث الدفء في اعماق الصديق والحبيب. البون شاسع بين اللمستين. اللمسة الاولى فعل مادي آلي، والثانية فعل واع شخصي.

للثانية فقط معنى، وقيمة، ومسؤولية.

هكذا الايمان. وهل من معنى للايمان بلا معنى، وهل من قيمة بلا قيمة، وما معنى الايمان وقيمته بدون مسوولية؟ والمسؤولية فعل التزام شخص واع ناضج.

فانا اؤمن. ولكن...

ان كل المشكلة، كما سنرى اكثر من مرة، تكمن في الانا. وواقع الانسان الصحيح غير هذا. لذا جاء العنوان ليؤكد على الواقع الحق: انه لا يسع المرء ان يؤمن وحده وبمفرده، وانه علينا ان نؤمن معا، جماعة، شعبا، كثرة. ولا خوف من الضياع. فان الايمان لن يسمح بالتشتت والانقسام والتباغض، ان كان ايمانا صحيحا. الايمان الحق موحّد دائما وابدا. فنحن من نؤمن. وايماننا جماعي ضرورة، واية انفرادية تعطّل الايمان، تفقده معناه العميق، وتسلب

قيمته.

الا يتعارض هذا مع المفهوم الشخصي، والفعل الشخصي، الذي راينا ضرورته؟ كلا، بل وبالعكس تماما. فالانسان ليس شخصا الا اذا لم يبق وحيدا، بل يجمع وجوبا مع الاخرين.

ف "نؤمن" فعل شخصي، واقعي، ايجابي.

لذا ركّز التقليد الكنسي عليه، فكان كل (قانون الرسل) او بالاحرى (صورة الايمان) الاصيلة، فعلا جماعيا مستمرا هو "نؤمن..."

فلا تقل بعد "اؤمن"، الا متى اردت ان تؤكد على خصوصية موقف، لغرض معيّن محدود، بل قل : تؤمن. انه فعلك الايماني الاحق، بل حياتك الايمانية العميقة، ووجودك الشخصي المتنامي نضجا.

لن تكون رقما، ولا انسانا مجهولا. ستكون معلوما، لك اسم، وجسم، وشخصية. ولن تكون وحك كئيبا، ستكون كثرة واحدة، متحابة، سعيدة. فهل تريد؟

ولان الايمان ليس معلومات وعلما ومعرفة وحسب، بل كشفا ووعيا وقناعة ومسار وجود، فهو ايمان ب "شخص"، لا ايمان ب "شيء". الشخص لا يؤمن (بالمعنى الوجودي الاعمق) الا بما يشبهه على الصعيد الاسمى المتميّز، فهو ايمان ب "شخص". والايمان بشخص يتطلب وجوبا "علاقة"، تكون متبادلة بين المؤمن ومن يؤمن به. ولانها علاقة بين شخصين، فهي علاقة معرفية، فيها وعي، ووضوح، واستنارة. ولانها علاقة وجود ومسار حياة، فهي علاقة قبول، وثقة، وودّ، وحب، وحوار. اذ لا يمكن ان تكون علاقة نظرية مجردة، ولا علاقة مصلحة واغراض ومنافع، ولا علاقة سطحية عابرة، بل علاقة وجود، وحياة، وخلود. هذا هو الايمان. وبالكشف عن العلاقة: نوعها، عمقها، ابعادها، يتجلّى الايمان ناصعا، ساميا، داعيا الى التزام حياتي يذكي الوجود، يحييه، يجدده، ويبدع الروائع.

(3) سعادتي في....

قالتها للمرة الالف (لا تعجبني المبالغات، لكنها، ثقوا، كررتها مرارا وتكرارا حتى خلتها تقولها للمرة الالف)...واعادت، وكررت، واصرّت مؤكدة: سعادتي...في المال، والا ففي اي شي، وعالمنا هذا لا يقيم للانسان وزنا بدون مال...

ولاني اؤمن، بحدود فقط، ان في الاعادة افادة، قلت لها: أأنت واثقة من كلامك؟ وهل هذه هي قناعتك ؟

فاجابت: اريد ان اكون مثل البنات الاخريات...ألبس افخر الثياب واضع المكياج الذي يعجبني، واحمل قصة الشعر العصرية، وان يكون لي بيت، وسيارة، واسافر، و...

قلت : اكملي، ولا تستحي...

فتلعثمت، وبحق...فالحديث عن كل ما يشتهيه المرء محرج اغلب الاحيان. ومن لا يتردد في التمنّي، لا يبلغ غاية التمنّي.

ففكرت وقلت وكتبت. اذ ان صديقتنا تريد ان تكون "مثل" البنات. انها تريد ان تكون رقما بين الارقام. لقد تعلمّت وتعودت ان تكون "مثل"، لا ان تكون "هي". وهي مشكلة معظم الناس. ملايين الناس، في كل العصور والبلدان والشعوب. انهم ارقام ليسوا الا...

تر يدين ان تكوني مثل بقية البنات. وبعض البنات في اسوأ حال: بلا بيت، بلا اهل، بلا معيل، بلا عمل "شريف"...محرومات من كل شي. بعضهن محرومات من حياة انسانية طبيعية، كريمة، وغيرهن صابرات

على حياة هي اقل من المستوى الاعتيادي للعيش، والثقافة، والراحة، وغيرهن غير ذلك...

بعضهن، اجل، في افضل بحبوحة عيش، واسعد رغد مادي، ومنصب مرموق، ومكانة اجتماعية متميزة، ومجالات عمل نافع وذروة ابداع...

ما السبب ؟ ومن اي صنف تودّين انت ان تكوني ؟

واركز على "انت". مثل من تريدين انت ان تكوني؟

وهل تظنين انه في امكانك ان تكوني "مثل" اية واحدة اخرى؟

انت انت، ولا يمكن للانا ان يتكرر. الانا فريد وحيد. في هذا تكمن عظمة الانسان – الشخص، وفي هذا ايضا مسوولیته.

وعليك الاختيار. عليك وحدك.

ستقولين، وتكررين الف مرة اخرى : لكنك ترى ظروفي...

انا اوافقك، واعطيك "شيئا " من الحق، في اننا لا نستطيع ان نهمل الظروف، وان للظروف دورا في مسار حياتنا، لكنها لا تستطيع اطلاقا ان تشلّنا كليا، ولا ان تعطّل التمّني. ومن كان امله وطيدا، فانه لا شك سيبلغ الهدف، ولو بصعوبة.

سعادتك. مؤكدا ليست في المال، ولا في توفّر اسباب الراحة والعيش الرغيد.

كثيرات (الالوف !) متوفر لهن كل هذا، لكنهن لسن سعيدات. اليس صحيحا ؟ اليس امامك امثلة واقعية تؤيد صحة هذا القول؟ حاولي ان تتذكري الان بعضها...واسالي نفسك: فلماذا؟

كنت قد قرات قبل سنوات عديدة في رواية لهيمنغواي عبارة ترددها زوجة "سعيدة"، لم تكن غنية ولا...لكنها مقتنعة بان "ما عندها وما هي عليه عظيم"، اكبر بكثير من المقتنى والمغتنى، وليس لبناتها الا ان يحسدنها على ما هي عليه، فهو اكثر من ان يوصف، والذ من ان تشرح طعمه للاخرين، مع انه شيء بسيط جدا، في نظر الاخرين. فهل كانت تتحدث نسبيا؟ ام انها خيالية؟ مؤكدا انها لم تكن تخادع نفسها ولا زوجها ولا الآخرين...من جرّب ما قد جربّته هذه المرأة، من حبّ عظيم، هو وحده يعرف ان يفهم منطقها. اما المتحدث بمنطق المادة والتملك، فسيظل بعيدا جدا عن حقيقة هذا الواقع العظيم. فالعظمة الحقة لا تقاس بالكمّ، مقاسها الكيف وحده، والنوع، والبعد، والافق.

سعادتك فيك، وهي منك. من الداخل ينبغي ان تتبع السعادة، وان تنتهي.

كيف؟

السعادة حالة عميقة، باطنية، صميمة، حميمة. فيها من الوعي رؤية عميقة، ومن الشعور تجربة فريدة، ومن الوجود الواقعي نضج رضى وعبير ثمر يانع وفير.

سعادتك انت. تحققينها بنفسك، والا فلا يسع احد ان يفيضها عليك، فكيف يستطيع فرضها قسرا؟

سعادتك ليس حيث تكونين، بل كيف تكونين.

سعادتك ليس بكم تملكين، بل بماذا وبم وبمن، وبدل التملّك، انه التكوين والصيرورة والنموّ والنضوج.

سعادتك في الوعي والحب. آمني بهما، حققيهما، حوّليهما عيشا يوميا، تكونين سعيدة سعيدة.

(4) الـــــو ا حـــــــــــــد

ما الفرق بين المؤمنين والمتدينين القدامى، من نسمّيهم بوثنيين، وبين المؤمن الموحّد القائل بالله الواحد؟

الفرق واضح، وقد جاء في السؤال عينه، فالسؤال ابن الجواب (على العكس مما نتصور عادة).

ولماذا؟

اظن ان أهمّ سبب علينا تقديمه للتفريق بين الاوّلين والاخرين، ان الاخيرين ياخذون بالواحد على انه "كل شيء".

لو فهمت عزيزتنا ان "الكل شيء" يعني : ليس من حاجة بعد الا الى الواحد، لاكتشفت معنى السعادة. لكنه يصعب عليها هذا الامر، لانهم عوّدوها على بعثرة الواحد في اجزاء، ان لم يكن احيانا كثيرة في اشلاء، والتعتيم بالتالي على الاساسي، الجوهر، القلب.

بدل الاله الواحد، لجأ الناس الى آلهة، كل اله يلبّي رغبات، يدغدغ عواطف، ويستجيب طلبات.

اما الاله الواحد فليس ملبّي الرغبات، مدغدغ العواطف، مجيب الطلبات. هذه، بوسع اي كان ان يحققها لي، لك، لنا، دون ان نعرفه. فقد ياتينا

"الخبر" من غريب، مجهول، من باب الصدف والحظ... اما ما ياينا ممن نعرفه، ويعرفنا، فشيء مختلف. وان كان ما ياتينا من شخص يحبنا، فالاختلاف النوعي واضح وعظيم.

ويظل كل هذا ناقصا.

كان ابراهيم ابونا في حيرة، حتى اكتشف "الله" الحق. لم يكتشفه مصلحة أو مأربا أو استكانة... اله الذي وجده كان له "مغامرة"...."انطلق"، قال له..فمضى...بعيدا...بعيدا جدا...خرج عن ذاته، وعن كل ما له ويملك، الى حيث يلقاه هو وحده، فوق كل شيء...آمن، فحسب له ذلك برّا...

الله الذي نؤمن به اكثر بكثير من موزّع خيرات.

والصلاة التي يرفعها المؤمن الحق الى ربّه والهه ابعد من صلاة طلب.

من يطلب ويجعل من حياته كلها مطاليب، هو شخص ناقص. ليس بمعنى اننا لسنا بمحتاجين، انما بمعنى اننا أناس مصالح.

من يحبّ لا يطلب. المحبّ يعرف ما يتمناه الحبيب، يلبّيه حتى قبل ان يساله اياه. انه يحبّ وكفى.

لذا كان الفرق كبيرا بين من يؤمن باله هو حب، بالله محبة، وبين الهة هي اسياد تغدق العطايا علء العبيد.

ونحن لسنا عبيدا. خلقنا الهنا احرارا. يريدنا احرارا. وحريّتنا الحقّة في عمق وعينا وحبّنا. واول الوعي والحب هو علاقتنا بمن هو الاساس في وجودنا، والهدف الاسمى. ليس بمعنى انه يريدنا له، بل يريدنا سعداء،، خلقنا للسعادة، يربينا ويرعانا لننمي فينا كشفه المنير، ونكبر في صداقته.

وكل ما في حياتنا ينصب في هذا الواحد الاوحد، دون ان يفقد اي شيء من الجزيئيات في وجوده ومعناه وقيمته. الواحد لا يلغي الاخرين. والاسمى لا يكسف من يشترك في سموّه.

وأذيع سرّا : ان كل همّ الله الواحد الاوحد ان يوحدّ، و يجمع، و يحبّ. بينما عمل البشر، عادة، تفريق، تجزئة، ونقص في الحب (ولا نريد استخدام تعبير اقسى). اليس هذا ما نلمسه في الواقع البشري، سواء عبر التاريخ، وسواء في اوضاعنا الراهنة؟ فمن منا يعمل على "التوحيد": في ذاته، في بيته، في مجتمعه، في عمله وحياته، في عالمه، وعلى الاصعدة كافة؟ وهي مصيبتنا، بل خطيئتنا، واظنها الخطيئة العظمى. فهل انتم معي في هذا التشخيص ؟.

الرجل، من طبعه وتطبعّه "انفصامي" اكثر من المرأة، فالمرأة، بطبعها. موحدّة أكثر بكثير من الرجل. انها تعتبر كل شيء واحدا، لانها تعتبر كل شيء فيها جزءا من حياتها. المرأة كلها عاطفة وشعور: تفكيرها، ايمانها، حياتها، حبها، تعمل كل شيء بشعور يستحوذ على ذاتها بجملتها، فهي "موحدّة". بينما يفصل الذكر بين فكره وعمله وحياته، او يمكنه بسهولة ان بعطي لكل من التفكير والعاطفة والعمل بعدا متميزا، دون ان يعني بانه ينسى او لا يفكر او لا يحب، وكأن ذاته محطات او مراحل، بينما ذات المرأة قلب كبير يسع الفكر والشغل والعلاقات، ويصب الكل في بحر كبير.

وعلى الرغم من مساوىء قد يخلقها الفصل وحتى التمييز بوضوح في فكرنا وحياتنا، فلا بّد

من عدم خلط الاوراق، ونظل بحاجة كبيرة ايضا الى جمع كل شيء الى واحد، فالتوحيد هو هدف سام. وحاجتنا الى الواحد اكبر من ان يعيقها عائق وتخنقها اشكالات. الانسجام والتناغم والجمال في الوحدة.

(5) امـــــــا كل شيء او لا شيء

لا يتناقض هذا مع ما اوردناه بشان عدم الاستهانة بالجزئيات والامور الاعتيادية او الشؤون الصغيرة. فالمقصود هنا غير ذلك، بل هو مكمّل له متى فهمناه على حقيقته.

لو بقي الوجود جزيئيات، ولو اصبحت الحياة امورا وشؤونا... لانتفى المعنى العميق لهما.

الوجود عظيم، والحياة عظيمة.

ولا يتساوى هذا مع اقوال من يريدون الانسان كل شيء والا فلا معنى لوجوده، او يريدونه كل الحرية، والا فالعدم افضل.

المقصود في كلامنا والشعار الذي نودّ رفعه: ان نعتبر الشيء الاساسي هو الكل، وكل ما عداه ثانوي، فالاهم هو المهم، دونما انتقاص من اصغر الامور واقلّها، لكنها كلها تنصبّ في هذا الجوهري الكلي، منه تتخذ المعنى، وفيه تعرف الركيزة وتلقى الهدف.

متى كان لك جسم صحيح، فهل يهمّ كثيرا ان تكون قامتك اطول او اقصر بضع سنتيمترات؟ ولو كنت غنيا بما فيه الكفاية واكثر، فهل مهم جدا ان تكون ماليتك اكثر او اقل دراهم معدودات ؟ ولو كان تحصيلك العلمي جيدا، فهل يهمك نقص بعض معلومات سوف تعمل يوميا، لانك عالم ومتتبع، على الاستزادة منها؟ ولو كنت ذا حب عظيم، فهل تهتم للمسات وعواطف ثانوية في حياتك؟ ولو كنت سعيدا، بمقاييس السعادة التي لك (والامل ان تكون المقاييس الصحيحة ايضا)، فهل تشكو السعادة وتضجر من الحياة ؟

هذا هو "الكل شيء"، ولانه كل شيء فهو لا يحتاج بعد الى شيء. ومن حظي بكل شيء، لن يهمّه بعد شيئا.

وقد اثبتت الخبرة البشرية الاصيلة العميقة ان الله كل شيء، دون ان ينتزع منا اي شيء، بل هو من يعطي معنى الشيئية، بل الشخصية، والوجود الاعمق، لكل منا. انها مسألة ايمان طبعا. لكنها مسأل' حياة، ووجود، والا فاللامعنى، والسأم، والعدم.

لذلك فانا المؤمن اقرّ بصدق بان الله لي هو كل شيء، وبدونه فلا شيء.

لكن الكل شيء لا ينفي الاشياء، ولا يقلل من قيمتها ومعانيها. انها تبقى على حقيتها، بل تكتسب حقية وجود اغنى واعظم، بفضل الكل شيء، الاسمى والاكمل. تماما كالموجودات حين يلامسها نور الشمس فتستنير، تضيء، تشع، وتتضح حقيقتها بمقدار اكبر، وتكتسب جمالا لا تعرفه الظلمات.

لو جربّتم ان تستنيروا بنوره، اذن لانفتحتم على عوالم لا يمكن لاعيننا المجردة ان تكتشف مكنوناتها. انه التحليق عاليا، والغوص عميقا، والتأمل الهادىء ما يتيح لنا ان نتذوق حلاوة وجود يحمل قيمة عظمى.

وليس "الكل شيء "بالنسبة لله وحسب، انه في الحياة بشكل عام، ونركّز هنا على الحب البشري والزواج.

اذ ليس معقولا ولا مقبولا ان يشمل القلب البشري حبّين اثنين او اكثر، بنفس المكانة والمقدار والعمق. لذا كان الحب اوحد. وهذا ليس انتقاصا من سعة القلب وعظمة الحب وشمولية الانسان. انه تخصص وتاكيد، لا يلغي جب الاخرين والكون والله، ولا يقلل من الانفتاح الحبّي عليهم، بل هو امتداد، ولون، وطعم، يمضي من الاولي الى حب الاخرين. وهو بهذا المعنى والبعد ينطلق او يتركز في الله ليشمل الجميع.

انما تاكيدنا هنا على الكل شيء او اللاشيء.

قديما كانوا يظنون ان الزواج يمنح الطرفين خاصة حقوقا وواجبات، للواحد تجاه الاخر. كان التركيز على الزوا ج على انه "عقد" و "تعاقد"، حصيلته حقوق وواجبات، وكأنه عقد تجاري يخص الطرفين، ولا تخلو منه مصالح أطراف أخرى، هم الاهل والعائلة الكبيرة. وتطورت المفاهيم، فاصبح الزواج في مفهومه الحالي: شركة حياة، فيها يتبادل الطرفان ذاتيهما، بصدق، وعمق، والتزام، فيعطيان الواحد الاخر حقوقا وواجبات، ليست خارجية لا مساس لها بالشخصين، بل ذاتية تشمل صميم

وجدانيهما ايضا.لذا كان تصريح الواحد للاخر : "اما كل شيء او لا شيء" تصريحا صحيحا، اكيدا، مؤثرا.

وكانوا يتصورون الانسان مركبّا من نفس وجسد، والفعل البشري من فعل عقل وارادة، وتوصل الفكر والعلم في ايامنا الى القول بان في الانسان ابعادا روحية، فكرية، عاطفية، مادية، وان الافعال البشرية حصيلة تفكير ورضى وانفعالات، ولكل هذه دور كبير في الحياة والحب. فمن يحب عليه ان يشمل فعله بل حياته هذه الابعاد مجتمعة، وحينذاك لا يسعه الا ان يقول لمن يحب: انت لي كل شيء، لانك تدخل في تكوين ذاتي بكل ابعادها، لا من زاوية معينّ محدودةة ولا لحالة خاصة.انه الشمول بعدا ونفسا ووجودا.

لذا كان الحب اصعب امر. لكنه اهم شيء. انه المغامرة العظمى.

(7) الـــــحـــــب فـــوق كـــــل شـــــــيء

سيظل البعض محتارين بين ايلاء الاولوية للحق او للحياة او للحب. مدارس فكرية عديدة اجتهدت في هذا المسار او في المسار الاخر، ويصعب ان يتفق الجميع على رأي واحد، فالقضية اكثر عوبصة مما قد نظن للوهلة الاولى. وخاطرتنا مغايرة.

هذه المقولة، الاشارة، الومضة، من الامور التي لا يمكن ان يتاكد منها الا من اختبرها.

لذا رفعت الشعار واعطيته لصديقتين خطاطتين فكتبتاه بحرف رائع، هو " حياة، حق، حب ".

لو قيل للحصان ما فردوسك، لطلب مرعى يرعى فيه الوقت كله. اما الانسان فلا يشبعه ذلك.

حين كنت في جنوب فرنسا ازور مغائر متكلسات ومتحجرات، ودليلنا يجهد النفس في ايضاح الاشكال بتشابيه روائع معمارية او طبيعية او فنية معروفة، اذا بصوت يقول: "وهذه افخاذ عجول". التفت فاذا به شخص بدين، سالته عن مهنته، فكان قصابّا ! طبيعي ان يرى الاشياء بمنظار تعوّد عليه سنين!

والمسالة اكثر. اذ لماذا الحب، والحب بالذات ؟

ما يميز الانسان عن الكائنات المخلوقة الاخرى انه عاقل. فالفكر هو المميز. ولكن...يوسعك ان تعرف كثيرا، وتمتلك معلومات وعلوما شتى، وتكون اشبه بوحش في تعاملك وحياتك.

بينما تشدّك امّ لا تعرف من العلوم والمعارف الا لماما، لكنها تسحرك بطيب قلبها وعذوبة كلامها ودماثة خلقها وحرارة حنوّها.

ليس انتقاصا من العلم والمعرفة، ولا تمجيدا للعواطف والاحاسيس، بل اشارة ضوئية تمنح الذات وهجا يبعث اشراقة حياة في وجود قد يظل وهما او يمسي كابوسا.

الحب وحده هو الاشراق. الحب هو الحياة.

ان شئت اختباره كل يوم، يمكنك أن تلقاه في ردّ فعل طفلن فهو سيدنو منك ويمكنك ان تلاطفه ان انت "احببته، والا فلا...

ليس الحب توهج احاسيس تستعر لحظات ثم تخبو بفعل تقلبات الحياة. ليس الحب عاطفة مشبوبة تحرق كل شيء، فلا تبقي على الفكر والمبادىء والقناعات والقرارات المهمة، او تحرق المراحل، فلا يهدأ الطعام على نار تعطيه نضجا ومذاقا. وليس الحب "انا وانت"، وليذهب الجميع الى الجحيم، وحتى العمل، والقيم.

الحب وهج يضفي على الوجود كله نورا، لونا، ذوقا، وروعة جمال.

الحب مصل دم ينفح الكيان حياة، دفئا، صحة، ومسحة جمال.

الحب ماء حياة يمنح الذات رواء، عذوبة، وسمة جمال.

والحب رسالة، ومشروع، والتزام.

به يحقق الانسالن ذاته. ولا تحقيق للذ1ت بغير الحب

.

الحب وعي. ومن الخطأ الكبير ان تعتبر الحب غير ذلك. الحب الاعمى لا وجود له. للحب عينان، بل اعين كثيرة، بل كل الاعين. انه بصير، متبصر، مستنير. اما ذاك الاعمى، فلا تطلق عليه اسم الحب تجاوزا. ان اسم الحب سام وعطيم، بل لا اهم واجمل من الحب.

حين تعرف الحب، تنفتح سماوات النور بسائر الابواب والمنافذ، بل الابعاد والافاق.

وحين تفقد الحب، تسوّد الدنيا حزنا، وتنقلب حتى نجوم الليل فحمات مخيفة.

لكنه ليس حب القلب وحسب، انه حب يشمل الذات بجملتها.

لا تدع التجزئة تنخر ذاتك، ولا تسمح للانفصام ان يشوّه شخصيتك. كن موحدّا، فالواحد هو الاهم. وحبك لن يكون صحيحا الا اذا كان جامعا، شاملا، موحّدا، يغمرك بكليتك كما تغمرك مياه البحر العظيم.

وحده الحب لا يقاس. فلا تستخدم مقاييس ناقصة، ومعايير ضعيفة، ومكاييل مادية تفعية.

ستقول : والفكر كذلك. لكنه الحب العميق : فكر، وعي، نضوج، وامتلاء. وهنيئا لمن يعرف ان يمخر بحر حب لا قرار له، ويسير في دروب انوار لا تعرف النهايات، ويشرب من مياه حيّة لا تروي الا بقدر ما تحيي، وتذكي، وتنمي.

يسيل لعاب الطفل ازاء كعكة طيبة، وترتخي اعصاب الشباب حين يسمعون كلمة حب ويرتاحون اكبر الراحة، وتقطر المشاعر عسلا في مواقف الحب الكبير. ويطل الحب اكثر من هذا كله. انه لا يوصف، غير محدود، ومطلق.

يظن المرء كل يوم انه بلغ المطلق في الرياضيات والعلم، وحتى في الفكر والمعرفة، لكنه ما يزال بعيدا جدا عن المطلقية. المطلق هو المطلق، وما يقربّنا منه هو مدى الفكر وعمق الحب، شرط ان لا نبلغ تحديدا معينا، فلا نتوقف، ولا نكتفي.

وسمة الحب الاساسية: عدم النوقف وعدم الاكتفاء. وعدم التوقف، يعني السير ابدا في درب رائع يعرض

علينا الجديد كل لحظة، وعدم الاكتفاء يعني ظمأ ابدي وجوع دائم واستزادة تملا الذات نضج خلود.

للحب خاصية عجيبة انه مطلق، متى كان حقيقيا. وهل اهّم واروع من المطلق؟

ان كان الفكر والتفكير يفتحان الانسان على المطلق، فقد يتحدد كل هذا لدى البعض، اما في الحب فالمطلقية بيّنة وملموسة بنوع اكبر. ليس من حب صحيح وحقيقي الا ويكون عميقا، وليس من حب عميق الا وهو مطلق. ومتى بلغ المرء مطلقية الانفاس، تحرر من كل تفاهة، وقيد، وفناء.

الحب كل شيء او لا شيء، اذ ليس هناك نصف حب او قليل من الحب. اي حب حقيقي عميق هو دوما الكل في الحياة.

لذا عليّ ابدال العنوان، بل المنطق، فالحب ليس "قبل " و "بعد" و "اثناء"، انه " دومـــــا " و " ابـــــدا". وفي هذا تكمن عظمته المستمدة من حقيقته. لذلك فهو الكل في الحياة.

(8) الانسان منجـــم طـــاقـــات

تراه جنينا، ملتويا، نائما، شبه موات، واذا به طفل يبكي، ثم يضحك، ثم يركض...

تراها مشلولة، بل قطعة لحم، وكأنها حجر. واذا بها شعلة ذكاء، وحيوية، وعطاء...

وتراه قصيرا، عاديا، لا تأبه له بسهولة. واذا به عالم كبير، مخترع اختراعات تقدم للبشر ية اجلّ الخمات

وتراها نحيلة ضعيفة، كلها عظام وجلد، عجوز قوس الدهر ظهرها وانهكت الايام صحتها، واذا بها شعلة حب تلهب بها الوف الناس.

لقد رايت جبالا وبحارا، مصانع ومتاحف، مناجم وغابات، لكنني كالانسان منجم مليء بالطاقات والهبات، والقوى والعطاءات، والافكار والابداعات، لم ار، ولا اخال اني ارى، فهو، دون سائر الموجودات التي ارى عجيب القوى والقابليات والمواهب.

الا عرفت كرامتك، ايها الانسان. الاعرفت قيمتك. الا عرفت ما فيك، وما انت !

لذا يحزّ في قلبي عندما اسأل احد الشباب: ماذ تريد، وتتمنى، وتتوخى؟ ويحار في الجواب، او يجيبني بما يجعل من قناعاته وآماله كلها محدودية وجود، قد يقتصر على العيش، ويرتضي بحياة عادية هي تكرار للملايين، ولا يعرف المضي ابعد من جدران ذات ضيقة تخنق كل الانفاس وتحجب الافق.

وكيف يراتضي شباب الالف الثالث بما لم يرض به شباب قبلهم باكثر من الفي، ثلاثة، اربعة آلاف سنة؟

وسيقولون: اننا عصريون، متقدمون، متحضّرون، متطّورون...

عندئذ سأجيبهم: ليس التطّور الاّ في الانسان.

كثيرا ما يحدث للناس انهم يمتلكون شيئا لا يعرفون قيمته، واذ يشير اليهم خبير انه نفيس جدا، تكبر قيمته في اعينهم. وكثيرا ما يكون بقربنا، وربما في بيتنا، شخص عظيم رائع، ونحتاج الى من ينبهنا اليه. اما ان لا يعرف الانسان قيمته وعظمته، فهو المؤسف المحزن المخجل، لكنه واقع يحصل كل يوم.

انا لا اقصد هنا الغرور الذي يغلّف قناعا يتلبس الكثيرين، فهذا زيف وتعال واغتراب. انما اقصد ايلاء القيمة الصحيحة لانفسنا، لاكتشاف طاقاتنا الكامنة فينا، واستخدام قوانا الكبيرة، والصيرورة كل يوم ما ينبغي ان نكون، محققين شخصيتنا بعمق وحب، فتغدو حياتنا كنزا ثمينا ومعينا لا ينضب.

هذا هو ما جعل أبطال الرياضة يصبحون ابطالا مشاهير، والعلماء علماء، والمفكّرين حكماء، والقديسين أمثلة يحتذى بهم مدى الازمنة وفي كل مكان.

وهذا هو، حسبنا نحن المؤمنين، عمل الله فينا. ليس بمعنى انه يفرغ فينا مواهبه آليا ويغدق علينا عطاياه جزافا، ويدفعنا الى الكمال قسرا، بل بمعنى انه يضعنا على الطريق، بعد ان جهزّنا بكل ما نحتاجه من مقومات لكي نشق طريقنا في الحياة، ونسير مبدعين نحو هدف لن نبلغه بالسهولة التي يريدها الناس عادة، لانهم متعجلّون في كل شيء. والعجيب اننا نكتشف كل حين، اننا بقدر ما نعطي نكون، وبقدر ما نرجو نصير، وبقدر ما نحب نتحّد ونشفّ ونسمو.

قد يحاولون اقناعك بان العظمة تكمن في المال، والقوة في السلاح، والخلود بتملك الكثير...يا لتعسك لو صدقتهم ورضخت للواقع التاعس. كثيرون قبلك جربّوا ذلك، وكانوا من المخدوعين تماما. الا تعرف احدا منهم؟ اما انت فلا تقتنع باقل من ذاتك، وقواك، وطاقاتك، ومواهبك، وابداعاتك، وعملك.

وليكن هذا السّر بيني وبينك: ان عظمتك هي في ذاتك، لا خارجا عنها. ثق وآمن بذلك، وسترى ان الكل سينصب فيك، وان السماء ستباركك..

(9) احـــبّ الـجـبـــــال

كنت دوما أعشق الجبال، أحلم بها، التذّ برؤية صورها، وأتغنّى بها حتى في محاولات شعرية نثرية في عمر مبكّر، مع اني لم أكن قد رأيت بعد سوى جبال واطئة هي أشبه بالتلال.

ألم تعشقوا في حياتكم أشياء واشخاصا لم تروها، أقله بالنظر؟

منذ نعومة الاظفار حصلت لي نعمة التمتع بمنظر جبال لا بأس بعلوّها في شمال العراق، ثم كان لي ان ارى غيرها، بل أعلى منها في بلدان أخرى: لبنان، ايطاليا، فرنسا، اسبانيا، سويسرا، اليونان، تركيا...وتضاعف حبّي للجبال...

انها بهية، رائعة، ومجالات حياة، وجمال، وسمّو، وخلود.

انت لا ترى الجبل دقيقتين متتاليتين بالنظرة عينها، لان الجبل هو في تغيّر مستمر، وتجدد دائم، وكأنه كائن حبّ، بل أكثر من الاحياء التي لا يبدو الجديد عليها كما يبدو في الجبل...صيفا وشتاء، خريفا وربيعا، فهو

يتلون بشتى الالوان بفضل الضياء، والعيوم، والظلال، والاشجار، وتحركنا هنا وهناك، فنلقى له أوجها، كلها جميلة، رائعة، وكأنها جديدة. لذا كان الجبل بالنسبة لي رمز تجدد خصب دائم لا ينضب، كالعيون التي فيه. وهل ألذّ من مياه عيون الجبال؟

وعرفته ابن جبل حقيقي. ينام متأخرا، وبنهض باكرا. فابن الجبل لا يحتاج الى النوم الطويل. انه شعلة نار النهار كله. ببساطة لامتناهية يقوم بالاعمال كلها، وحتى بابسط الاعمال الوضيعة، فلا عقد نفسية في حياته، ولا كسل، ولا تلكؤ..كله حمية، ونشاط، وعطاء.

لذا احببته، بل أحبه الناس. وكان طويلا رفيعا، كشجرة السنديان الجبلية...اوراقه دائمة الخضار والنضارة، وثماره يانعة طرية.

كلما أتعب الى حد الاستهلاك في المدينة، اقصد الجبل، ولو يومين، بل يوما، فارتاح من عناء الصخب ودوامّة الحياة الرتيبة الخانقة السممّة. ورائعة هي حتى موسيقى الجبل الليلية المتكونة من اصوات البقر والحمير والكلاب... اما النجوم فهي في البجل على غير ما هي عليه في السهول والمدن. انها مشعّة، لمّاعة، منيرة، بهيّة.

شكرا ايها الجبل صديقي، والف شكر!

(10) الشجرة الطيبّـــــة

كنت في غابة المنية، وكان يطيب لي أن أتوغّل فيها... وبين الحين والآخر، اتوقف لاجمع الكستناء، لاقطف وردة برّية رقيقة، لاتعقّب حشرة غريبة...وكثيرا ما كان عليّ ان اسرع، فالسماء تهدد بالمطر، فاقول

لصاحبي: كم المطر كثير عندكم. فيجيبني: وهذه هي حصيلته. ويشير بيده الى الاخضر المنتشر في كل مكان.

وتوقفت يوما لدى شجرة صنوبر عريضة، ممتدة طولا وعرضا بشكل غير منتظم، وكأنها منتفخة، ومتطرفة في كل الجهات. فسالت صاحبي الخبير بالغابات: لم هذه الشجرة دون الاشجار الاهرى، العالية الرشيقة البهية؟ فكان جوابه حاضرا ومؤلما: ان ولدا شقّيا قطع لها رأسها وهي ماتزال شجيرة صغيرة، فلم يكن لها ان تنمو متناسقة رشيقة، وتعلو حتى تطال السماء، بل اصابها التوتر، فانبعجت في طرف او في آخرن ولم تتمكن من السيطرة على الذات.

وفهمت وقتها كم الرأس مهمّ، وكم عملية النمو والتكاملب السليمة المنتظمة بحاجة الى فكر ومبادئ ومثل.

وتذكرت الكروم في سويسرا، واسبانيا، وبلدان أخرى، كيف تنفرش صفوفا وبسطا، كأنها فيالق عساكر، بكل انتظام وجمالية اتسّاق. انها أشجار طيّبة. وكل الاشجار الطيّبة بديعة.

البيت الذي يخلو من شجرة هو بيت عقيم. والبلد الذي لا يكتظ بالخضار والنبات والاشجار والغابات هو بلد فقير، مهماكان غنيّا. وقد عرف الله ان يزيّن الطبيعة بالنباتات والاشجار والخضار لكي يصقل الانسان ذاته ويكوّن في ذاته والكون صورة لا أبهى منها ولا أروع.

وأجمل الامور ان يغدو كلّ من شجرة طيبّة.

حقا لا يمكن للشجرة الطيبّة الا ان تعطي ثمارا طيبّةز فليت الناس أجمعين يصبحون غابة أشجار طيبّة.

(11 قبل 13 ثم 12 !)

(13) كل التعميمـــــــات فــا ســـــد ة

قال: كل الناس تعساء، بمجرد انه لقي انسانا، او بعض الناس، هكذا... وقال، وقالـــت، ونقول كل يوم: هكذا الفئة التالية، او الاشخاص، او الاشياء، او...ونعمم، ويطيب لنا التعميم.

ليس الكون شيئا واحدا، ولا الناس قطيع اغنام، ولا الفنانو جميعا فنانون متساوون، ولا الاشجار كلها مثمرة، وليست كل الازهار والنجوم والجبال سواء.

سهل علينا تعميم حالة ما على الجميع. ولكن، ما رأيكم، لو قلنا ان كل المرضى هم مصابون بنفس المرضى، وعالجناهم بالعلاج عينه؟ ولو علمنّا الناس جميعا العلوم ذاتها، وكلها، دون تخصصات وتنويع، ولو الغينا كل الكتب وابقينا على واحد، فكلها كتب، وهي متشابهة بل متساوية؟...وتتعدد الامثلة. ويزداد الاحراج، كلما تعمقنا في مجالات التعميم. لكن الخطأ والخطورة ليسا في عدم القناعة في مثل هذه الحالات والامثلة، انما في تعودنا نحن على التعميم من دون مبرر، وخلط الاوراق، وتشتيت المفاهيم، وحرق الواقع الجزئي، الوحيد والفريد.

كل واقع هو فريد، لانه وحيد اوحد. وكل انسان هو فريد. وما التكرار الا نسبي.

لست اعلم لماذا لا اطيق التعميمات. ما ان يخطىء احد الشباب، حتى يقول الكبار: كل الشباب هم هكذا. وقولهم حاضر اكثر متى كان الخطأ صادرا عن فتاة...واتساءل: لماذا الناس ميالّون الى التعميم، ولاسيما في الامور السلبية؟ بل نحن نعلم جيدا لماذا.

ويحضرني حدث معبّر. كنت ادرس وقتها في روما، وكان من أعزّ اصدقائي احد الفيتناميين، انسان انيس، طيّب، هادىء، لطيف. واندلعت الحرب الفيتنامية، وكنت اشاهد من على شاشة التلفزيون، شراسة الشعب الفيتنامي، فاعود الى نفسي: واتساءل: " أهذا ممكن؟ ". كنت قد كوّنت في الذات صورة اخرى عن الشعب الفيتنامي باسره، من خلال فرد واحد، او اثنين... فهو التعميم الخاطيْ، دون ان يعني هذا ان الشعب الفيتنامي ليس بلطيف وهادىء وطيب ةانيس، فهو هكذا الا حين يستثار، فيصبح لبوءة، بل نمرا كاسرا...تماما، كالهنود، فهم ليسوا جميعا عنيفين، كبعض الفئات، ولا جميعا مسالمين كغاندي.

وتدخل عوامل كثيرة في تكوين التعميمات الفاسدة او الصالحة. ولعل أهمها نزعة تعصب ذميم غالبا ما تفسد التفكير والاعماق.

فجذار من التعميمات...والا اضعفنا الخصوصية، وخنقنا الطاقة الكامنة في البذرة، وقضينا على الفرادة. وبدون الفرادة يتلاشى العمق والبهاء.

.

ولعل ما يزيد في الطين بلّة ان بعضهم يتخيلّون امورا، يركبّون عليها افكارا ومشاريع، ويستنتجون كل شيء، ولا صحة لاي شيء من ذلك. فهم

اذ يسمعونك، يظنون انهم فهموا قصدك، بينما لم يفهموا سوى ما يودون هم ان يستوعبوا، ويمضون ينسجون تسيجا متكاملا، من صنع خيالهم، وربما المجنّح، ويقومون بتقصي نتائج، هي ايضا من صنع مخيلتهم، ليقولوا لك في آخر الامر: انك اردت ان تقول هذا او ذاك، او ان تفعل...وتستغرب، بحق، فانت لم تحلم يوما بمثل ذلك

انا اظن بان معظم المشاكل العائلية خاصة هي لهذه الاسباب.

اما الحلّ ففي الانفتاح السليم. عليك ان تظل ابدا منفتحا، منفتحا بدون سوابق افكار وآراء واحكام. دون ان يهني هذا، ان تكون سلبيا، ولا ان تقبل كل شيء يدون تعقّل ونقد. انما من الطبيعي والعدل: ان تنفتح اولا بكل عفوية، وتنصت كامل الاصغاء، وتحاول ان تدرك ما يريده الاخر، بقوله او في افعاله، او ما تقرأ، وترى وتلاحظ..ثم تقوم بمسار فكري وشخصي، يشبه الى حّد كبير ما يقوم به الشخص نفسه صاحب الكلام او الفعل والحدث، ثم بعدئذ فقط يحق لك ان تجيب، وتعلق، وتحكم، وتتخذ موقفا...

فلا تتعجل الامور. ان كل شيء يحصل بتعجل، لن تكون نهايتة طيبّة.

(11) الطيـــــب ولا شـــيء اكثـــــر...

كنت اظن الى سنوات قليلة خلت : ان الاهم في حياة الانسان هو كذا وكذا..(قولوا انتم معي ما تعتبرونه الاهم في حياتكم). ثم اكتشفت (تماما كما فعل ارخميدس فصرخ : ايوريكا !)...وعرفت، وتيقّنت ان لا شيء

له قيمة، في حياة البشر، ويبقى، وينفع الانسان ذاته والاخرين، اكثر من "الـــطـــيـــب ".

ان تكون طيّبا، ليس هيّنا، كما تتصوّر. واظننا جميعا قد جرّبنا ذلك. سهل جدا ان تكون انت، ان تسير الامور حسب مرامك، ان تعامل الاخرين حسب هواك ومزاجك وآرائك، وربما انت عظيم، وعبقري، وقديس، فتحقق العظائم والمعجزات. اما ان تكون طيّبا، فاصعب بكثير، لانه عليك حينئذ ان تتخلى عن ذاتك، وان لا تتشدد في تصلب رايك، وان تنظر الى الاخرين بمنظار المساواة والعدالة، بل باحترام وحب، وان تعطي المجال للكثيرين لكي تتيح لهم فسحة التفكير والتصرف الاسهام في ما هو مطروح، فلا تتغلب الانانية، بحجة او باخرى...ولا يتّم هذا كله الا ان كنت طيّبا. فهل انت معي؟

قلت لها: لماذا انجذبت بهذه السرعة اليّ؟ وقد اردت باستفساري التعرف على السبب والتأكد من صدق المشاعر، فقالت : لانك طيّب. وكنت اعرف اني منذ سنوات وايماني كبير بان العظيم لا يستطيع ان يؤذي نملة. الجبان وحده هوعدواني وشرس واحمق.

هل لك تعبير افضل من "طيّب" تطلقه على الثمر، والهواء، والاكل، والحب ؟...

كل ما "طاب" طيّب هو، وكلّ منا يبتغيه.

طيّب هو هذا الانسان، واذن فانت تستطيع ان تلآقيه، وتحادثه، وتصادقه، وتتعاون واياه. الطيب ليس صفة وحسب، انه مكوّن اساسي في الانسان،

لذا كان علىالجميع ان يجتهدوا لكي يكونوا طيبين. انه من سنّة الكمال الانساني.

حين قمت بجملة محاولات، اظنها موفقّة على راي اصدقاء من علماء الاثار والمفكرين الحضاريين، وقرأت بشكل مختلف "ملحمة كلكامش"، واستنتجت بان قصد الاديب المبدع ليس في مشكلة الموت والخلود، بل في تصّور عظيم للحياة، فهي ملحمة الحياة والخلود، لا ملحمة الحياة فالموت فحياة اخرى، حينها حاول بعضهم التعليق بل الانتقاد، منطلقين من افكارهم المعلومة: انه لا يكفي "الذكر الطيّب" لشرح الخلود، لاسيما بمنطلقات دينية تقليدية. وكنت وقتها قد اكّدت على الذكر الطيّب، ليس لانه هو ما يخلد، بل انه الانسان الطيّب من يخلد، وانما يخلد الانسان بفضل ما اكتسبه من طيب في حياته، او بالاحرى هو التكامل في الانسانية وصولا الى طيب يحقق الاتزان والشفافية والعطاء فيمنح انسام خلود.

(12) مـــــــن الفكـــر الى الــــــــــو عـــــي

ساطرح في هذه الخاطرة واحدة من خلجات ذاتي المهمة جدا. انه الفرق الكبير بين الفكر والتفكير من جهة، وبين الوعي من الناحية الاخرى، بل انهما ليستا ناحيتين، لانهما مفهومان، قد يتساويان عند الكثيرين، ويتباينان جدا في قاموسي، وقناعتي، والحياة.

انت تفكر بالهواء، والماء، والصحراء، والعماء...

عشرات، بل مئات الافكار وآلافها تراودك كل اللحظات، وقد تحلّق بك بعيدا او قريبا، وهي افكار جيدة ورديئة، مفرحة ومؤلمة، ذاتية، وتكرار معلومات، اصيلة وتخيلات. وقد تظل مجرد افكار، او تنقلب آراء، كما قد تصبح قناعات... فهل من فرق ؟

ان عملية التفكير هي عقلية، وقد تظل نظريّة مجردّة، اما الوعي فيتطلب ادراكا واستيعابا، تمثّلا وهضما، ذاتية واصالة. اذ لا وعي الا في الانسان، من الانسان، للانسان، وبالانسان0

كل المشكلة اننا نعيش عادة باللاوعي، اذ يشكل الوعي حجما كبيرا جدا في مساحة ذاتنا، يحددها علماء النفس بنحو 75 %. فانت تستيقظ وتقوم بافعال كثيرة دون ان تنتبه لدقائق الامور، لانك قد تعودت عليها، فاصبحت عادات رتيبة. وانت تندفع الى الانطواء او الفرح او الغضب او الجنس او العطف او الصلاة، بدون شعورك الواعي، تستحثك غرائزك، ميولك، عواطفك، فتحجب عنك وعيك وتأملك وعمق تفكيرك وقرارك. فان انت تركت للاوعي العنان مطلقا، فانه سيقودك الى حياة يخفّ فيها وزن افعال انسانية حرّة ومسؤولة. اما ان ركزّت على الوعي وتنبهت لكل حركة واحساس وكلمة وفعل، واعطيت نفسك مجالا للتفكير والتأمل والتعمق، فانك تنمي فيك الوعي، وتعتاد على التركيز والعمق، فتغدو حياتك ذاتية شخصية، واذّاك فقط تمنحها قيمة بفضل المعنى الذي تعطيها اياه.

ما الفرق بين السبات واليقظة؟ وبين العماء والوضوح؟ انه تماما كالفرق بين اللاوعي والوعي.

كثير من الجرائم ترتكب باسم اللاوعي. اجل مسؤوليتها المباشرة ليست كمسؤولية افعال صادرة عن وعي، ولكن...لا تتعجلوا الامور، فقد تكمن المسؤولية بالضبط في انك اطلقت العنان للاوعي فساد حياتك واستعبدك، بينما كان عليك ان تحّد منه كل يوم، وتخفف وطأته، فتغدو انسانا واعيا، قدر ما يستطيع المرء ان يفعل.

لا ترضى بلاوعي يغطّي مساحة كبيرة في قرارة ذاتك. خفّض اللاوعي الى 50 %، وان امكن فالى 30 و20. هل تستطيع. من كل بدّ. الامر متوقف عليك وحدك. فلا تتردد.

لقد قلبت البيت جحيما: صراع، وعربدة، ومسبّات..نار كبرى. وحين تفاتحه بهدوء في كل هذا، يقول: لا ذنب...انه طبعي...لقد تعودّت...ولن استطيع تغيير شيء من تصرفّي...مع اني عالم باني مخطيء وغير محقّ... مسكينة عائلته، ومسكين هو أولاّ. انه ضحيّة تربية لاواعية.

ما قيمة الوردة اذا كنت لا تعيها؟ وما سحر البحر ان كنت لا تقرأ عمقه؟ وما عذوبة الحنان ان كنت لا تشعر به؟ وما الجمال، الحياة، الحب، ان انت بقيت بعيدا وغريبا عن كنه ذلك؟

بينما وعي بسيط يحسه شخص عادي بوسعه ان يملأ ذاته سعادة. وان اشتد الوعي، وتسامت الثقافة، ورقّت المشاعر، حصل المرء على سعادة اعمق، ليس للاول ان يحلم بها. فالوعي العميق كنز، ومنار، ونفحة خلود.

انهم لا يدرون بان الوعي نور يضفي على الحياة كلها معنى، وبالتالي وجودها الاحق.

ليس الوعي شيئا اضافيا، مكمّلا، بوسعك ان تستغنتي عنه ولا يهمك. الوعي ضرورة كالحياة نفسها، اذا لم تشأ ان تكون انت، انسانا واعيا. حين وعت ذاتها، عرفت انها قيمة، فسعت تحقق الذات، ولم تعد ترضى باقل من التميّز النوعي.

حين وعى الانسان الاول ذاته، عرف انه مختلف عن الكائنات الاخرى التي حواليه، وعرف "آدم" امرأته "حواء"، فكانا واحدا، وابتدأ التاريخ، والحضارة، والخلود.

(14) لقد ظلمنا الحياة

مسكينة الحياة، حياتنا: اما نلعنها او ننهيها. وقلّ من يريدها بوعي، يحنرمها، يباركها، وخاصة ينميها، يطورّها، ويحقق خلودها.

انها هذه الطروحات الاخيرة ما قد لا يستوعبها الجميع. واعترف بانها ليست طروحات اعتيادية، لكنها اساسية لتفهم الحياة.

نحن لا نصنع الحياة. انها موجودة. لكننا نكتشفها. ولا يقلّ الاكتشاف والكشف كثيرا عن صنع الاشيائ، الا...والمهم هو نوعية الكشف ومدى الاكتشاف.

حين تكتشف شيئا، فكأنه لم يكن موجودا ووجد. بالنسبة اليك انه الان، بعد الاكتشاف، حاضر، وموجود، وله معنى.

ولن اغالي اذ اقول: ان جلّ مشكلة الحياة ان الكثيرين لم يكتشفوها على حقيقتها. لم يميزوا ما بين حياة هو " وجود ملقى" في الكون، وبين وجود ملآن، يريد الامتلاء باستمرار، ويكون الامتلاء من الداخل والاعماق، لا من الخارج وقسرا او هكذا، بدون وعي، ورضى، وحب.

وتأتي مشكلة فهم الحياة ماديا او روحيا، اي ثنائيا. ويطول بنا الامر لو حاولنا الولوج في تفاصيل الثنائيات التي عرفتا الحضارات والديانات والانسان منذ اقدم اللعصور، وباشكال وتفاسير شتى. لكننا نقول هنان الحياة هي الحياة، مهما نعددت التسميات وتلونت وتشعبت. فسواء كانت حياة مادية ام روحية، حياة فانية ام ازلية وابدية، حياة صغير ام كبير، حياة وردة ام عصفور ام اعظم انسان، فهي هي الحياة. اما الموات واللاحياة فشيء آخر. وقلن اللاحياة لئلا اقول الجماد او... فانا ممن يقولون ان كل مافي الكون حياة، بشكل او بآخر، لان فيه حركة هي اول مظاهر الحياة.

كنا نلهث من التعب، فقد صعدنا الى علوّ اكثر من الفي متر، واضطررنا الى الاستراحة مرات، وتصبب العرق واصبحت اجسامنا خرقة مبللة، بل عودا مبللا، وراودتنا هنيهات تراجع، لكننا استرددنا الانفاس وجرعنا قطرات ماء ونظرنا الى الاسفل فشجعنا ما قطعنا من مسافة، ونظرنا الى الاعلى فحفزنا ما بقي على

المضي قدما، وكانت الخطوات الحثيثة الاخيرة نصرا كبيرا، فصرنا في اعلى القمة، وفتحنا الاذرع بلأ الذات كلها، وارتفع الراس عاليا نحو

السنماء، في وجه الافق البعيد، وقلنا، وكاننا واحد : آه، ما أجمل الحياة!
انها الحبياة! لق حظينا حقا بالحباة...
لكنها كانت فينا، فنحن احياء، انما...
دخلت عليها وهي لا تقوى على الحراك...كانت قد تناولت حبوبا كثيرة، بوعي وبلا وعي، ووصلت حدّ الانتحار...اذ لمست شرارة الحياة عواطفها، تحرك وعيها فراحت تتوسّل: أنقذوني...هل اني سأحيا حقا؟...وكانت في الايام التالية، بعد تناول العلاج بهدوء، تكرر القول عينه: أحقا اني لن أموت؟...لقد كبر معنى الحياة في ذاتها، وغدت الحياة نفيسة، جميلة، ولا شيء يمكنه ان يعوّض عنها، فهي "الحياة".
وتذكرتها...كانت تودّ ان يحدث اي شيء، عدا شيء واحد، ترفضه بشدة، ويثور كل ما فيها ضده، ان يموت زوجها. كانت تتشبث باقل قشّة في سبيل الحفاظ عليه حيا. وكانت تصرخ في وده الطبيب: لن يموت، لن تدعه يموت، لا اريده ميتا، فافعل كل شيء عدا ان تتركه يموت...لقد كانت تصارع الموت بدل زوجها الذي انهطه المرض ونهش آخر لقمة حياته ممتصا آخر نسمة فيه.

نبض الحياة علامة على ان ما فينا ليس مواتا، ولا جمودا، ولا سكونا. فالحركة علامة حياة. لذا انزعج عندما تريد جّدة مسكينة او اي كبير في البيت ايقاف حركة الاطفال، وكأن الامر غير طبيعي. اما الحفلات التي يكتب على بطاقات الدعوى اليها : الاطفال يقلقون راحنكم، فمما لا اطيقه البتة. الاطفال "زينة الحياة"يقلقون راحة "الكبار"؟ لست افهم هذا الا بمعنى

ان الكبار هم من صنف السكون، اي الموات، مع المعذرة للكبار، وربما للصغار ايضا. فكلنا ننسى اننا كنا يوما صغارا...وكم وكم ينسى الناس اشياء واشياء...

وحاولت جهدها، بل المستحيل، لكي تمنعه من الموت. راحت تتشبث بالطبيب، وبآخر خيط من نسيج الحياة، لئلا يلفظ نفسه الاخير، فهو كل شيء لها ولاولادها، هو الحياة، وبعده الموت.
حقا الحياة نور، وحب، وخلود.

(15) الاقدمون ونحن والوقت

كثيرا ما ننذها حيال اعمال كبيرة ومنجزات ضخمة قام بها الاقدمون، ونتساءل كيف تسنى لهم القيام بها وكم الوقت الذي استغرقوه في الانجاز. ولئلا نضيع في متاهات لا طائل تحتها، احصر امثلتي على صعيد النتاج الادبي، وهو ما يدخل ضمن اختصاصي المباشر. واقف مندهشا امام مجلدات ضخمة، لو شاء احدنا اليوم استنساخها وحسب، لما اتسعت لها سنوات حياته مهما كانت مديدة. لذا ياتي الاستغراب العفوي: كيف فعل مثل هذا الرجل كل ما فعل، فالف، وسطّر هذه الصفحات المئات، وبامكانات بسيطة تكاد تكون بدائية، بينما لا يسعنا نحن اليوم ان ننجز القليل القليل منها، ولا حتى مجرد استنساخها وحده، مع ما لنا من امكانات مهائلة ووسائل متطورة.

وجاءني الجواب سريعا، انما معبّرا، هذا المساء، بل هذه الليلة، فانا اكتب هذه الخاطرة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. اتعرفون ما هو؟ انه الوقت. وساشرح لكم ذلك.

انقطع عني الهاتف خمسة ايام كاملة. ومن يدري، فلعله يستمر منقطعا اياما اخرى ايضا. واتيح لي هذا النهار ان اختلي الى نفسي، فلا زيارة، ولا محاضرات، ولا اذاعة وتلفاز، ولا اي شيء يصدني عن العمل: القراءة والكتابة واعداد المحاضرات، واذا بالوقت طويل، واليوم مديد، والانتاج وفير، والرضى عارم. وفهمت كيف ان القدامى كانوا ينتجون بغزارة عجيبة، لاسيما وان بيئتهم الطبيعية كانت على محدودية كبيرة، ووسائل الاتصال ضعيفة جدا، والانشغالات اقل بكثير من انشغالات انسان زماننا. فانت اليوم، شئت ام ابيت، تستضيف العالم كله في بيتك، بل انه يحتل في ذاتك وعشك وحواليك حيزا واسعا، وغريب من لا يعطيه حقه كما ينبغي. وتريد من الوقت لو طال واتسع، لاسيما متى احتجت اليه، لكنه يغدو دوما اقصر بكثير مما تتمنى.

كلما انال عتابا، واحيانا قاسيا انما بدافع الود والحب، من شخص او عائلة، لاني اهمل زيارتهم شهوران وخاصة اذ انسى مواعيد ي واياهم، استنجد ساعتها بشحّة الوقت، واكرر جملة تعجبني: ان كل شيء هو متوفر في السوق (اقله ايام قبل الحصار بالنسبة لنا)، الا الوقت، وليتهم يوفرون لنا هذه البضاعة الثمينة. ولا اخفيكم باني اقاطع احيانا: ونحن الذين لا نعرف كيف "نقتل" وقتنا...واتحسر، بل نتحسر معا! فقد اصبح الوقت ايضا مباحا.

وكثيرا ما نردد: لو كان النهار ثلاثين او رابعين ساعة بدلا من 24. واني لمتأكد انه لو بلغ خمسين ساعة لكانت النتيجة عينها: من يشكو من شحّة الوقت سيظلّ يشكو من ذلك، ومن لا يعرف كيف يقضي وقته وايامه سيظلّ ضجرا، شاكيا، متذمّرا...

فزفرت : آه، هكذا اذا كان الاقدمون !...اما نحن فيمكن ان يسمونا: اناس هدر الوقت. ومع ذلك، فلعل في وضعنا ما يحق ان نحسد عليه.

(16) الـــو قـــت وا لابـــــــد

اذ يحتدم النقاش حول امكانية تجاوز المحسوس والماديات، لا اقدّم عادة سوى ثلاثة امثلة معبّرة :

الفكر، الحب، اللازمن واللامسافة. واتوقف الان على ما اعنيه باللازمن. من منا لم يختبر اللاوقت في حياته؟ فانت اذ تكون سعيدا في حفلة او لقاء، تشعر وكأن الساعات بطولها قد مرت سراعا، كأنها لحظات. وبعكسها تماما دقائق الانتظار، لاسيما الممتزج بمعاناة او غموض، فهي ساعات بل ايام وشهور...

فحق للمفكرين والفلاسفة والعلماء ان ياتوا بآراء ونظريات متعددة وعجيبة عن الزمن، والى حد انكار وجوده. وكان القديس اوغسطين قد قال : ما الحاضر؟ ما ان تلفظ الكلمة، حتى قبل ان تشعر بوجود "الحاضر"، حتى يكون الماضي قد لفّك، واصبحت في امتداد نحو المستقبل، وافلت الحاضر في كل الاحوال من بين يديك...وذهب الكثيرون الى اعتبار

الزمن مجرد اسم، مصطلح، وحدة قياس، رمز...ولعلي افضل الاخير، فانا مغرم بالرمزية والرموز، شرط ان نعتبرها رموزا فاعلة، تصنع المعاني، بل وجود الاشياء وكل ما تدل عليه، فهي خلاقة.

كان مستعجلا، يروم مغادرة قاعة الحفل، وظلت متشيثة به: لنبق قليلا آخر، الا ترى الجميع جالسين، لم يتحرك احد منهم بعد، فهل نكون الاولين؟ وكان القصد كله ان يظلا لحظات اخرى، فالحفل جميل، والانسجام كبير، والكل في ثياب عيد...لكنه كان يعدّ الدقائق عدّا، فانشغالاته كثيرة في الايام الاخيرة، وهو لم يقصد الحفل الا مجاملة لزوجته، واشترط عليها انهما لن يتاخرا، ووعدت طبعا...لكنها فرحة هانئة لا يحظب بها الانسانكل يوم، ولاسيما امراة لا تخرج كل يوم من البيت...وكاد الخلاف ان يقلب النشوة عذابا. والمشكلة مشكلة الوقت، فقد مّر سراعا، اكثر بكثير من المتوقع، اقله بالنسبة للزوجة.

وقلت: انها الابدية. الم اقل لكم ان الاحساس بالابد ليس صعبا؟ كلنا قد جرب "لحظات ابدية". اذ تكون هانئة سعيدة، تكون السماء، والا فيا لتباطؤها وثقلها ووطأتها، انها جحيم لا يطاق ولا يحتمل. وكلنا قد جربنا شيئا منه. انه اكثر من احساس حسي او شعور عاطفي. انه حالة، والحالة تنشئ وجودا في الكائنات العاقلة المتنامية.

كان اخوها، وامها، واختها. ووالدها متوفى. كانت حنقة عليهم. واذ تسمع قصتها، تعطيها الحق كله. وكانت ناقمة، لا تتورع ان تلفظ كلمات كهذه: سوف اقتلهم واهلكهم وافنيهم. من؟ اهلك؟ اجل...لولا الدموع السخينة لما تحكلت دقيقة عذاب اقوى منها. وظلت اياما وشهورا، بعد التهدئة

والتسكين، متقلبة على احر من الجمر، جمر الغيظ والحقد وحب الانتقام.

لقد كانت حياتها جحيما حقيقيا. لولا حب كبير، لما عاشت.

والا فما تصوركم للابدية؟ ففي افضل الحالات، وقد قالها كبار الفلاسفة واللاهوتيين والمتدينين والمتصوفين: السماء معاينة الله، مشاهدته، التامل في وجهه وقلبه وكمالاته. ثم ماذا؟ لا شيء اكثر واعظم وابهى. لكننا سنظل متساءلين، ان لم اقل متشككين. وهو أمر طبيعي، ان اعتبرنا المشاهدة سكونا، والتامل جمودا، والبقاء في حضرة الله حالة واحدة لا تنوع فيها ولا جديد، ويعني هذا كله ان الابدية بدون قلب، بدون تنوّع، بدون حياة. انما لا حياة بالمعنى الاحق والاعمق الا في الابدية.

كيف؟...ليس لنا الا علامات تؤشّر حالة لم نجربّها بعد، لكننا قد جرّبنا شيئا بسيطا، لكنه عظيم ورائع.

ان نحن وضعنا أمامنا هذا، حينئذ سنكتشف حقيقة النعيم والجحيم، وغنى الابد الخالد.

(17) بديهيات محرجة

كلما اسمع احدهم يقول: الا تخاف الله؟ اجيب بسرعة واحراج: كلا. ويستغرب الشخص المتحدث، فلا ادعه يتيه كثيرا، بل ابادره بسؤال بديهي محرج: او اتخاف انت من ابيك وامك؟ ويكون جوابه هو هذه المرة: كلا. ثم لا شك انه يفكر قليلا، فيلقى نفسه وقد اجاب على السؤال بشكل عفوي وبسيط. انه السهل الممتنع!

ولكنني اخشى الله، والخشية في التراث الحضاري والديني والادبي واردة، غنية المفهوم، غزيرة المعاني. انما الخشية شيء والخوف شيء آخر. تدل "الخشية" على الاحترام والتقدير، نظرا لمنزلة الشخص الذي نخشاه، فهو اكبر منا واعظم، وهو معلمنا ومربينا ومسؤولنا، وهو الاب والام ايضا بالنسبة للاولاد. وفي الخشية شيء من الرهبة والمهابة، بل وحتى "تقديس" الاشخاص الذين نخشاهم. اما "الخوف" فيدل على تباعد وتباغض وتسلط وقسوة، وهذه كلها لا تليق بالله، ولا بالاقارب والمحبين والاهل، فالعلاقة بين هولاء الاخيرين علاقة ودّ واحترام وحب.

هو هذا السرّ الذي لم يكتشف بعد الكثيرون ممن ينحون باللائمة على التربية الحديثة ومقوماتها ومتطلباتها. فهم ما يزالون يحنّون الى اسلوب "الضرب" والتأديب الوحشيين، ويتنكرون لاسلوب "التحرر"، ففيه، حسبهم، فساد المجتمع. هولاء لم يفقهوا بعد ان الاحترام والودّ والطيب والحريّة هي اساسيات في التكوين الانساني وبناء الشخصية.

ويمكننا اذا ان نربط ما بين الومضة هذه والمقولة الرائعة: "من يحب لا يخاف ". فالحب ثقة واتكال وطمانينة. وعلاقتنا بالله هي، وينبغي ان تكون، علاقة حب، لانه اب، واي أب.

يتعلق هذا بمفهومنا اذا عن الله، ونامل ان يكون مفهومنا عنه انه اب، وخالق، ومدبّر، ومحب. عندئذ فنحن لا نخافه ولا نخاف منه، لانه يحبنا ولا يمكن ان يؤذينا اطلاقا. انه كل شيء وفوق كل شيء ليس في الكون وحسب، بل خاصة فينا.

(18) جســـــــــر الى الاخـــــــر

ويظل ينبح ويعوي الليل كاله، لم يتركني انام بهدوء، وقد كنت محتاجا ال ليلة هانئة بعد يوم تعب وارهاق.

واذ اتشكّى اثناء النهار من هذا "الازعاج"، يجيبني من يحرص على ابقاء الكلاب فهي تنفع في مثل هذه الايام الصعبة، ويقول: انهم يعبرون عن الكثير بهذا النباح.

وصباحا، كعادته، اخذ يلحّ البلبل عليّ بالزقزقة والغريد والحركة...انه يطالبني بوجبته المفضلة من الاكل، اذ كيف يمكنه ان يراني آكل ويظل هو ساكنا؟ ويقول صاحبنا "الخبير": انه يكلمك بلغته. ولا يخطيء صاحبنا في هذا.

لكنني افضلّ الكلام، كلام البشر. فالحديث غير هذا كله وما سواه.

كانا يحبان بعضيهما، وكانا يرتاحان مع بعضيهما ويقضيان اجمل الساعات، لكنها تعتب عليه انه لا يكلمها. كان لطيفا، بل رائعا في كل شيء، لكنه يفضّل الصمت لاسيما في مثل تلك الساعات. وكانت تلح عليه: الا كلمنّي...

الكلام جميل، والصمت جميل بل أجمل في أوقات ومناسبات، وكلام الكلمات والالفاظ جميل، وكلام التغريد وحتى الصياح، بل الهمسات والحركات والاشارات...كلها كلام. والكلام جسر الى الاخر.

انه تعبير عن الكيان والذات، قبل كل شيء، وهو حوار مع الاخر. من هنا اهميته، ولهذا كان فنّا حقيقيا، بقدر ما يقوى ويتسامى لدى الواعين

الناضجين، بقفدر ذلك يؤثر ويغني. والبون بين جسر عوامات خطر، وجسر معلّق ذي طابقين واكثر هو بون كبير، حيث الامان متوفر، والهدف الذي نقصد بلوغه اكيدا.

وفنّ هو ايضا الانصات الى الاخر، لكي يتحول كلامهم، باي شكل كان، حوارا مغنيا وبنّـــاء. ليتنا نتعلم هذا الفن العظيم، كما يتعلمّ أي فنّان فنّه. اننا عندئذ فقط سوف نبدع فيه.

(19) مكـــــــان مقـــدّس

لكل انسان مكانه، وارضه، وانتماؤه. ولكل انسان مكانه المقدس: في اعماق الذات، وعشّ الدار، وقلب الديار، وجنّات السماء، يحيا فيه، يرتاح اليه، يتكامل فيه، ويحنّ اليه. لان ما يحدد علاقة الانسان بالله باريه، وبالكون العظيم، هي علاقة مقدسة لا بدّ لها ان تتجسّد في الزمان والمكان والجسد، مع تجلّيها في الفكر والقلب والاعماق.

ولعلي احرج اليوم ذاتي والاخرين اذ اوجه هذا السؤال: اين هي امكنتنا المقدس ؟ بل عليّ ان اؤشر السؤال فاقول: اين مكاني، مكانك، مكانه المقدس، وليس امكنتنا. والفرق واضح على ما اظن.

لكنه سؤال خاطيء، او اقله مؤطّر بعقلية زمكانية تحرفه عن المرمى الابعد والاهم. فهو تحديد للمكان في مكان. بينما قصدي الاخير هنا: ان المكان الذي هو حيّـــز وجداني يتخطى الزمان والمكان، دون ان يكون وهما.

ومن منّا لا يشعر بان له مكانا من هذا النوع؟

ليس فراغا، بل هو ملء كله امتلاء. وليس تجريدا فكريا لا لون وطعم له، بل من صنف التجريد الفني الحديث حيث الابداع يشفّ ويعبّر عن الحقيقة بعمق اقوى من الوضوح الشكلي المعروف.

انه من النوع الذي عبّر عنه المسيح اذ قال للسامرية: ان العبادة الحقة لله هي بالروح والحق، فهي ليست في جبل كورزيم الذي كان السامريون يعتقدون ان العبادة واجبة فيه، ولاى في اورشليم والهيكل حيث كان اليهود يجعلون محور العبادة والدين، بل في كل مكان. لذلك، مضى المسيح الى ابعد، فاكّد بان ملكوت الله هو في داخلنا. في اعماق الذات هي السماء. الاقوال هذه لا تنفي المكان والزمان، كما انها لا تنفي السماء والنعيم، بل تعطي الزمان والمكان، والسماء والخلود ابعادا عميقة، مفعمة وجودا وغنى وسعادة، تحمل عمق الحقيقة فيها، وتمضي بنا الى عالم الابدية السعيد.

بعد هذه الخواطر، يمكنك اعادة السؤال، وطرحه بعمق على ذاتك، كما على غيرك: ما هو المكان المقدس الذي يستهويني؟ بل ما هو مكاني المقدس، وهل اهنأ فيه حقا؟

تعيس من لا يلقاه، وهنيئا لمن يحياه.

(20) العقل الكبير و العقل الصغير

عندما احب شخصا، لا اتردد كثيرا في استعمال كلمات قد تبدو غير مقبولة اعتياديا، لا تتعدى ابدا حدود اللياقة والاحترام، كأن اقول: " لا يكن عقلك صغيرا"، او باختصار اكثر: " لا تكن صغيرا" او "صغيرة". واقصد بذلك ان لا نعير الاهمية لامور ثانوية، وننسى الاهم. فان مشكلة الانمسان هي ان يقبل بان تتساوى عنده الصغائر والكبائر، وحينذاك يفقد المرء مقياس القيم. لذا الح دوما على مقياس القيم، وقيمة القيم.

وتطالعني كل يوم مشكلة شخص، عائلة، مجتمع، ان انت اردت تحليلها بعمق، فسوف تكتشف لا محالة كم انهم قد تشبثوا بما هو صغير، بسيط، بل وربما تافه، متناسين ما هو كبير، وعظيم، وذو أهمية عظمى. الا يحضرك على الاقل مثال واحد مما اعنيه؟ بالتاكيد بلى، واذن؟...

كبر العقل لا يولد وايانا، انه بحاجة الى وقت، وتدرب، ومراس، وثبات. فالطفل لا يسعه الا ان يكون ذا عقل "صغير"، وحين نودّ تعظيم قابلية طفل نقول: كم عقله كبير! ويحتاج الانسان الى زمن ليس بالقليل لكي ينمي فيه عقلا راجحا، كبيرا. ولا يتمّ هذا الا بتمرن سليم ومستمر، تغذّيه توجيهات وقراءات وخبرات حياة. ولا بد من الاستمرار بثبات على ما يرسخ فيه الاستيعاب والرجاحة والتعمق لكي يغدو العقل كبيرا.

ولعل من اسباب صغر العقل الكبرى التصلب في الرأي، بحيث لا يسمح الرمء لذاته من انفتاح على الاخر وقبول الاخر كما هو والافادة من كل شيْ، ايجابيا كان ام سلبيا. فالصخرة تظل صخرة، وتقسو بقدر ما تكون صلبة صلدة وجلمود صخر. اما الانسان فينمو ويكبر ويتثقف ويصبح عظيما. وليس من ابداع الا ووراءه عقل كبير وانسان عظيم.

وكثيرا ما يعبر المرء عن "صغر" عقله (مع الف اعتذار!) هو الصراخ والعربدة. اننا ننسب عادة صراخ المرء وعربداته الصاخبة الى قناعته بانه ليس على حق، لذا يلجأ الى وسيلة قسرية ومزعجة ليسكت بها غريمه، بدل ان يقنعه، او افحامه على الاقل، بمنطقية ورجاحة عقل. لكنه صغر العقل، وقصور الانسان، وتفاهة حججه هي التي تدفعه الى الصراخ والهرج. ولو كان محقا من كان صوته اعلى، لربح المعركة من نعرفه كلنا جيدا، فان صوته عال جدا، ومزعج، ينفر منه الجميع. وكان قد المح الى هذا احيقار الحكيم، نحو 750 سنة قبل الميلاد.

(21) الجــــوع والتــــخمـــــة

(بين النهرين، 1995، العدد 91-92، افتتاحية)

(22) بشائر و ابوام وواقعيـــــة

كنا قد اخترناه سنة وكيلا يعيننا في الاعمال والمشاريع والحسابات، وكان لبق الكلام، ذكيا، لكنه...كان كل صباح يوافينا ب "نشرة الاخبار". لم تكن نشرة عالمية او اعتيادية، بل كل ما كان يسمع او يرصد في الاسواق والمجتمع من ظواهر سلبية ومزعجة، يزيدها ملحا وفلفلا، ويسردها علينا بلباقة. وبع اسابيع تنبهنا الى ما قد حوّل اجواء انفسنا ضبابا وغيوما، بل سوادا حالكا، فسعينا الى الاستغناء عن خدماته.

كثيرون في مجتمعاتنا خاصة، وربما في العالم باسره، من يعكّرون اجواء بيوتهم ومحيطهم، عن قصد او غير قصد. انهم اشبه، مع الاعتذار، بابوام شؤم، لا يحملون الا الاسود، ولا يعلنون الا عن السلبي والحزين والمحبط.

كالماء اذ ينساب من المعين، كم يكون عذبا اذ يظل صافيا نقيا، وباردا طيبّا، بينما أي تعكير يصيبه يقلبه فجّا ممجوجا لا يستساغ. وما العمل حينئذ الا في العودة الى المعين الاصيل.

وعكسهم من هم بشائر خير، تطفح وجوهم بالبشر والفرحة، ويلهج لسانهم بالمديح والشكر والتعظيم والتفاؤل. انما قد يتجاوز بعضهم الامور، فيبثون البشرى على حساب الواقعية ايضا. فما هو الموقف السليم؟

ما زلت اذكر ندبها ساعة مواراة ابنتها الشابة: "حبيبتي، من سيكون بديلا عنك بشّارة خير؟"...وعكسها تماما من هم كآبة متجسدة في وجه وكلام وافعال.

يظل الموقف السليم متجسدا في واقعية متزنة يتحلى بها الانسان، تجنبه العثرات، والخيالات، والمآسي.

"كن واقعيا"، هو ما اطالب به الجميع، واناشدهم ان يستقروا عليه، ففيه خلاصهم وسلامة الجميع.

وتسالنب: ما الواقعية؟ ان تنظر بعينيك، وتسمع باذنيك، وتختبر بنفسك ما تقول وتحكم قبل ان تتصرف. لكنك ستعترض بانه يستحيل على المرء ان يرى كل شيء بأمّ عينيه او يسمع باذنيه او يختبر بنفسه. وازيد: بل عليك

ان لا تكون نظرتك سطحية وسمعك ضعيفا وخبرتك هزيلة، انما بالمعنى العميق لا الحرفي المادي. لانه حرام عليك ان تتسرع في المعرفة، والحكم، والخبرة، وتحرق الامور والاشخاص، بحجة انك قد رايت وسمعت واختبرت...وانت لم تر الا شيئا طفيفا، ولم تسمع الا جزئا بسيطا، ولم تختبر الا ما نقله اليك آخرون، ربما منحازون او مغرضون، وترده كببغاء، وتدعي انك قد رايت وسمعت واختبرت، فمن حقك ان تحكم على الامور والاشخاص والدنيا...

فالواقعية صعبة اذا، لكنها باب السلامة للدخول الى رحاب مجتمع سليم وعالم افضل من خلال شخصية متزنة لا ترضى بالسهل والرخيص والتكرار السطحي والتسرع النافل.

ولو كان الجميع "واقعيين" لما اسودت دنيا الكثيرين، ولما عاش البعض في اوهام حياة لا تلبث ان تتلاشى تاركة المرارة في الفم. الواقعية عسل لا يجتنى الا بوخز ابر النحل، حتى لو تمّ جني العسل بطريق حديثة متطورة، لان التطور الحياتي، الاجتماعي، الانساني، لا يقبل الا نموا طبيعيا يحتاج الى دراية، واناة، وثبات.

ولكن، ارجوكم قبل الوصول الى واقعية ناضجة، ان تكوا بشائر خير لا ابوام شؤم، فان بشّارة واحدة خير من الف بوم، ويا ويلنا ان احاطت بنا الابوام.

ولا يظنن احد ان البشائر افراح كاملة تامّة، لا جهد فيها ولا معاناة. اذ لا بد من ان تثير البشارة اضطرابا، بل قلقا في النفس، ويقود الامر الى تساؤلات ليس بالسهل الاجابة عليها والخروج منها الى حلول سليمة.

والبشائر نداء يدعونا الى رسالة، واذن فالى عمل، وكثيرا ما يتطلب هذا العمل جهدا، بل لا يمكننا تحقيق تلك الرسالة الا من خلال معاناة كبيرة علينا تجاوزها وصولا الى انجاز المهمة. وصعب على المرء عادة قبول ما لم يكن قد تمناه هو، كما انه يتهرب ويتجنب كل ما يشكل عبءا ويحتاج الى عمل مضن. لكنها فرحة ليس بعدها فرحة ينالها الانسان متى سار في خط البشارة، فتلقى النداء بهدوء وعمق، وتغلب على التساؤل بل القلق، محولا اياه سعيا دؤوبا لتحقيق اشارات النداء، متما الرسالة بامانة، فيحظى بفرح عارم يعرفه المجربون وحدهم.

وما الواقعية الحقيقية سوى بشائر محققة.

(23) مـــــوقــف

كثيرا ما لا تعبّر الالفاظ عن مدلولاتها. وبوسعكم استذكار عشرات المصطلحات التي تحتاج الى شروح لكي نقف على معانيها. كما يصعب تخيّل لماذا سمّي الخبز خبزا، والباب بابا، والحجر حجرا...بينما يسهل علينا فهم مدلول الخرير، والهدير، والنباح، والزقزقة، والصرير، والنسيم...من الفاظها. ويختلف اصحاب العلم في اصل الكلام والمصطلحات.

اذكر نقاشا محتدما في قاعة المجمع العلمي، خرج احدهم فيهم بكشف معبّر اذ قال: خذوا مثلا مصطلح "سندويش"، فقد حار العرب في وضع مصطلح له، فقال بعضهم "شاطر ومشطور وشيء بينهما"! بينما كان يكفي

اطلاق اية لفظة معبّرة عن المضمون ليس الا، لان المصطلح يظل مصطلحا قبل كل شيء، ومن الجيد ان يقترب لفظا ومبنى من المدلول. وعرفت يومها ان في الاصل من مصطلح "سندويش " رجلا كان يلعب القمار، ولانهماكه الكبير في اللعب لم يكن لديه الوقت لوجبات اكل طبيعية، لذا اخترع طريقة الاكل السريعى هذه، فجاء جهابذة العربية ليبحثوا عن مصطلح مناسب فاضاعت بعضهم في متاهات لامنطقية...

واعود الى صلب الخاطر لاقول: ان لفظة "موقف" لا تعبّر تماما عن المقصود هنا. فهناك الموقف من التوقف، بينما المقصود هنا اتخاذ موقف من امر او في الحياة، والبون بين الاثنين واضح. لكننا بعد ان اوضحنا الامور، نود التاكيد على ان الانسان الحق موقف، ومن لا موقف له في الحياة، ليس بشخص ناضج.

ليست للطفل مواقف، بل اندفاعات شبه غريزية، او تكرار وتقليد كلام او افعال. وكذلك لضعيف الشخصية. اما قوي الشخصية فله مواقف مشهودةن وحياته اجمالا موقف واضح.

وليس ضروريا ان تكون المواقف في امو ر كبيرة. بل ان عديم المواقف في الامور الصغيرة، لا يسعه ان يكون صاحب موقف في الامور الخطيرة.

وقد يقود اتخاذ الموقف بسهولة الى تلبس شيء من العناد والتعنت. انما هذا شيء واتخاذ موقف حقيقي شيء آخر. المراهقون يلجأون عادة الى التصلب والتشنج، اما البالغون والناضجون فيتخذون المواقف بتعقل

وروية، وحتى بفطنة وهدوء. ورب مراهق بالعمر هو من النضوج السلوكي والشخصي، بينما قد نجد كبارا مسنين يتصرفون بمراهقة تضحك.

وعليك اتخاذ موقف لاسيما حين تدفعك الظروف الى ما هو حدّي لا يقبل الائتلاف والوفاق والانسجام. ولكن، عليك ان تنتبه: فامامك آخرون، بافكارهم وآرائهم، بافعالهمم وتصرفاتهم، باذواقهم وانتماءاتهم. وان احترام كل هذا واجب. ولكل الناس ايضا، اقله الناضجين، مواقفهم. فماذا تفعل؟ اتخذ موقفا واضحا، وسر على بركة الله.

(تنتقل الى : انجيليات : (22) لـــم ولـــــن يو لـــــــــــــــــد المـــسيـــــــــــــــــح

لانها ايام الميلاد وراس سنة جديدة، كان من الطبيعي ان اسجل خاطرة، لاسيما وعالمنا، ومجتمعنا، وانساننا ما يزال بحاجة...الى اهم شيء: الخلاص، بمعناه الاقوى والاعمق.

والخلاص الجذري شامل: يشمل الانسان كله، نفسا وجسدا، عقلا وقلبا، فكرا ومشاعر وافعالا، حقوقا وواجبات، بل دعوة ورسالة وهدف حياة مفعمة بالنور والدفء والسموّ. ويشمل الخلاص كذلك كل انسان، كبيرا ام طفلا، رجلا ام فتاة صغيرة، ابن جلدتنا وموطننا وارثنا وديننا، والاخرين جميعا دون تفريق وانتقاص. وهذه كلها حقائق سهل البوح بها، ويعسر تطبيقها في الواقع الحياتي اليومي.

ولا ميلاد بدون خلاص، ولا معنى لعام جديد، على الصعيد الايماني العميق، بدون تجدد شامل. لكننا لو تطلعنا حوالينا، فماذا سنرى؟

"ليس لهم مكان"...ولا نستغرب ان كان "الطيبون"، "الواضحون"، "المحقّون"..لن يلقوا لهم مكانا. فالمكان في عالمنا ومجتمعاتنا هو لغيرهم. ولا يقوى من همّه كل هموم الدنيا ان يسمع بشرى الخلاص، فهذه تحتاج الى هدوء، وانصات، واستعداد جيّد، وعمق وشفافية. وستقولون: من تراه يمتلك كل هذا؟ وهنا يكمن الخطأ، فهي ليست عمليات تملك، بل حالات وجود نتيجة صيرورة وتصور وتكوين. والفرق كبير.

سيكون لكم الكثير ان ازحتم عن وجودكم ثقل عقليات وعادات وصنائع لا يمكنها ان تشيع اجواء صالحة للميلاد، ويستحيل ان تشرق الشمس في اجواء مشحونة بغيوم وضباب وسموم. وسيكون لكم الاكثر متى عرفتم ان تفتحوا العقل والقلب والاعماق على افق كون لا يعرف الحدود، واغوار بحور تحث على مغامرة ابدية. اذ في الانسان اكثر بكثير مما يظن وتوسوس له الدنيا.

لو عدنا الى عنوان الخاطرة لراينا من باب ايضاحها الاستعانة برسالة السماء الى الارض، وقد جاءت على السن الملائكة المبشرين ليلة الميلاد: المجد لله في العلى، وعلى الارض السلام، والرجاء بل المسرّة لبني البشر ذوي الارادة الطيبة.

لشرحها سابدأ من آخرها، وهو تفسير لاهوتي سليم. فان لم تكن الفرحة في العيون والامل في القلوب، وان لم يكن السلام بين بني البشر افرادا

ومجتمعات ودولا، لن يتمجد الله، لان مجد الله في خير الانسان وسعادته، هو الذي خلقه على صورته ليكون على شبهه، ولينعم بفرح محبته.

ولاننا لا نجد مكانا للفرح والامل، ولاننا نقتل السلام كل يوم في ذاتنا وبيتنا وبين ابناء جنسنا بشتى وسائل القمع والحقد والتناحر والفناء، فمن البديهي ان لا نتوقع تحقق رسالة الميلاد، وعدم تحققها يؤدي الى اجهاض الولادة. فكل الولادات الاخرى يمكنها ان تكون عفوية، آالية، قسرية، عدا ولادة المسيح، لان المسيح ليس طفل امرأة وكفى، اي يسوع بن مريم المولود قبل الفي عام، بل هو راس الجسد، ولا معنى للراس بدون الجسد، كما انه لا حياة للجسد بدون راس. وكيف يكون الراس بخير، ان كان الجسد معذبا، معطّلا، مهشمّـــا؟

0

فلن يولد المسيح وفينا ما يحجب الاخر، او يبعده، او يؤذيه.

ولن يولد المسيح وفي مجتمعنا انطواء، وتعصب، وحقد.

ولن يولد المسيح وفي العالم اله جديد بدل الاله الحقيقي، هي المادة، والكسب الرخيص، والتجارة حتى بالضمائر والدين، وهي التسلّح واختلاق نزاعات وحروب لتصريف السلاح وللهيمنة على الشعوب والبلدان والدول، وهي التقنية ووسائلها المغرية وسيطرتها التي تستعبد كل شيء، وهي وسائل الاعلام والاتصال التي تقربّ الناس وتدخل العالم في العائلة وقلب الذات بالاغراء والخديعة والقسر، وهي اللذة والشهوات والانانيات على حساب الحب والمشاركة والتضامن والاقتسام.

كما لم يولد المسيح في قصر لا يعوزه شيء، ولا في فكرفرد أو مجموع يدّعي كل الحقيقة، ولا في قلب يحبس الانفاس ضمن جدران فولاذية هي سجن الذات، ولا في عالم يرفع شعارات يطبّق عكسها.

ولا يولد المسيح وفي الدنيا مصالح تضاد المصلحة العامة، او في العالم سعي نحو خير فئات لا نحو تحقيق الخير العام، او في الانسان نزعات اشبه بما تحركه غرائز عمياء او احاسيس عواطف متقلبة واهواء مغرضة، او فينا ما هو اقل من عفوية رعاة بسطاء يصدقون النداء، وعمق حكماء يلبون اشارات الضياء، وبراءة عذراء تقبل الكلمة فتتحول طفلا مخلصا، وطواعية شاب ناضج يحول الاحلام روائع.

لا تقبلوا ان يكون الميلاد وفي دنيانا ظلم نخشى فضحه بصراحة المحبين، او في مجتمعاتنا تكلس وتصلب وتخديرات شتى، او في عائلاتنا طفل يبكي، وفتاة تتحسر، وشاب تائه، وأمّ معذبة، ووالد مهان...

ان لم ننشف الدمعة، ونكسو العريان، ونسقي الظمآن، ونهدي الضال، ونسعف الجريح، ونؤاسي المكلوم، ونشيع الفرحة في القلوب، ونقاسم الاخرين ما لدينا، ونحارب الجهل والتعصب والدجل والانانيات، فلا ولن يولد المسيح، ولن تكون سنتنا الجديدة سنة خير.

(24) آفات عمى الالوان (بين النهرين، افتتاحية العدد 85\86)

(25) الاذان لا تكفي (بين النهرين، افتتاحية العدد 87\ 88)

(26) اللاء الثالثة (بين النهرين، افتتاحية العدد 89\90

(27) وحـــده الانسان لا ينســـى

يؤكّد العلم ان من مزايا الانسان ونعمه : نعمة النسيان. وانه اولا النسيان لانقلبت حياته جحيما. وليتذكر كل منا حادثة اليمة، مصابا، كارثة...كم كان وقعها كبيرا على نفسه اول الامر، ثم انه بفضل النسيان تمكن من التغلب على حدة الالم وقسوة الحدث وفداحة الخطر، وعادت حياته طبيعية، بعد ان آمن بالامر الواقع.

اذكر عجوزا كانت تنهكها الذكريات الاليمة...فلا تفتأ تتتحدث الى الجميع عن مصابها العظيم، وليتها كانت تفعل بوجيز الكلام. لقد انقلبت حياتها "وسواسا" ابديا...والوسواس يؤذي صاحبه، ينخره، بل يقتله.

لكن الانسان لا ينسى. فتراه يذكرك دوما بانك في اليوم الفلاني كنت قد اهنته. وتراه تعتب على الاخرين انهم لم يزوروها، ولم يهنئوها، او لم يؤاسوها...وتراهم لا يتحدثون الا عن ذكريات الماضي، ولاسيما الحزينة التي تجدد الجراح، وتزيد الكره، وتوغر الصدور...

وتراه يظل يذكّرك بما قام به من افعال ومبّرات وخدمة لك وللاخرين، وحتى لو كنت قد استمعت اليه عشرات المرات، فهو لا ينسى...ووحده الانسان لا ينسى. هذا ما خرجت به من نتيجة بعد سنوات خبرة على اصعدة كثيرة، لكنه ينسى بسرعة كل ما يخص الاخرين من فضل ومعروف وعون وتضامن وصلات قربى واهداف.

وكلما تقدّم الانسان في العمر، فانه ينسى كل شيء، عدا الذكريات القديمة، فانه يعيدها تكرارا ولا يكفّ. بينما تراه ينسى ما قاله بالامس وما عمله

قبل سويعات. غريب حقا هو الانسان، وآفته النسيان، بل لعل النسيان نعمة ايضا. فهل الافضل ان ننسى ام لا ننسى؟

هذا حال الانسان. اما الله فانه ينسى. انه ينسى وبسرعة، خطايانا ونقائصنا وتجاوزاتنا واهمالنا وخياناتنا. اجل، لا يضيع عند الله شيء، بل كل شيء يصبّ في بحر حبّه الوالدي العظيم، ولانه حنون رحوم ومحب، بل هو المحبة، فانه يصفح، ويغفر، ولا يمكنك ان تصفح وتغفر حقا الا اذا نسيت وغضّيت الطرف ولم تعد تذكر وتذكّر الآخر بما اخلّ به تجاهك، فالمغفرة مسامحة تمحو كل ما حصل، لكي يبدأ الطرفان صفحة جديدة. ليس الصفح محاكمة فيها يقف الطرفان متخاصمين، بل موقفا فيه يتغلّب الحب على البغض، ويحتوي القلب الكبير القلب الصغير، وتنبت فرحة الحب نورا وحياة يسعدان الجميع.

اما من يريد المعاتبة واستنطاق الاخرين ليبرر على قول او موقف حتى اصدار حكم، فهذا لن يصل الى نتيجة، ولا دخل للمسامحة والصفح والغفران في هذه العملية كلها.

من يقوى على نسيان ما يؤذي الاخر، هو وحده من يعرف الذات.

(28) لا طفـــــل لنـــــــا

كانت لهما ابنة جميلة وطيبة، لكنهما، وبدافع من الحب الانساني الشامل وايمانهما العميق المتجسد افعالا خيّرة، قبلا اشارة الكاهن المرشد

والصديق، فتبنيا طفلة سوداء من البرازيل، ثم تبنيا بعد سنتين طفلا مريضا من البرازيل ايضا، وكانا سعيدين كعائلة ملتزمة.

والح عليّ متوسلا: اتدري، انها تريد طفلا، وقد حاولنا المستحيل، فساعدنا. وكنت اجيب: انت تعرف القوانين وعقلية شعبنا. وظل يلحّ، فوعدته خيرا، وكان ان اتيحت فرصة نادرة، فكان لهما ما ارادا: طفلا جميلا، سليما، محروم الوالدين. ربّياه بحنو كبير، فترعرع في دفء حميم، ونشأ لا يعرف غيرهما والدين له. ويوما اكتشف الحقيقة، فاراد بكل الوسائل البحث عن والديه...وبدأت الازمة في حياته.

كان لهما اثنا عشر ولدا، ستة فتيان وست فتيات. ربياهم بكفاف، ولكن بوقار. وتمكن معظمهم من اكمال دراساتهم، ونجحوا في الحصول على شهادات ومناصب، وكانوا مترابطين، حتى بعد زواجهم، وكأنهم عائلة واحة وليس عدة عائلات.

كانا متحابّين. كان مثقفا وشغولا. وكانت ذكية وجميلة وربة بيت ناجحة، اضافة الى عملها المتميز. لكنه كان مصرا على ان يكون له وريث، ولي عهد، من يحمل اسمه...ولم يكن لهما ولد. جربا كل ما يمكن القيام به للتغلب على العقم الطبيعي، ولكن عبثا...ويوما ما طلقها، ليتزوج باخرى تنجب له اولادا.

واحببت ان اتعرّف على السّر. فاكتشفت ان الطفل هو كل شيء في حياة الكثيرين، ولكني ادركت ايضا ان معظم الناس يعتبرون اولادهم هم كل شيء، ويميزون بوضوح، بل يفرقون، بين اولادهم واولاد الاخرين.

يومها، وقد كنت اتحدث في محفل كبير ضم مئات العائلات، فقلت: انتم لستم آباء وامهات اولادكم، الا ان كنتم آباء وامهات اولاد كثيرين، اولاد الاخرين، بل جميع الاولاد. فان من يعتبر اولاده الطبيعيين هم وحدهم اولاده، لن يكون ابا واما لاولاده، بالمعنى الانساني العميق. اولادنا هم كل الاولاد، واكثر من الولادة بالطبيعة، فاولادنا هم اولادنا بالعاطفة، والروح، والحق.

ولعل العديد من مشاكل الدنيا هي تلك "الانانية العائلية" التي تحصر العاطفة والروح في ابناء العشيرة واولاد الجنس الواحد والعائلة الخاصة، دون الانفتاح على الاخرين، ولاسيما الاولاد والصغار منهم، فهم اولاد الجميع، لانهم بشر، وجميع البشر اخوة واخوات.

واذكر اني احرجت يوما مئات المؤمنين اذ سالتهم: من منا اكثر اولادا؟ ولئلا ينهض احدهم فيقول: ان لي سبعة اولاد او عشرة... تابعت القول: لا تتعبوا انفسكم، فاني اب اولاد اكثر منكم جميعا، مع اني غير متزوج. ولئلا يفهمني بعضهم خطأ، اوضحت بان لي مئات، وانا لهم اب حقيقي، ببعد ثقافي وتربوي وروحي، واظن ان هذا اهم من بعد جسدي ومادي. والا فهل اولادكم هم حصيلة مصنع الايلاد ليس الا؟

(29) كلنـــا آبـــــاء وأمهّـــــا ت

قد يستغرب الكثيرون هذا العنوان، اذ كيف يمكن لطفل ان يكون ابا، او لطفلة ان تكون اما. وماذا ممن لا اولاد لهم، بل من غير المتزوجين؟

واكرر: كلنا آباء وأمهات. هذه هي رسالتنا. ومن لا يكتشفها ويعيشها فهو من الخاسرين.

شرط واحد تقتضيه هذه الرسالة: ان يكون الانسان في حال نضج انساني.

كلما اكتب بحثا او مقالة دسمة، ولاسيما عندما انتهي من كتاب، اظل انتظر، وبفارغ الصبر، ويزداد الشوق كلما قرب صدور ما كتبت، ولا اظن اني ابالغ ان قلت اني انتظر صدور المطبوع كما ينتظر الوالدان ولادة وليدهما. وهو جنس ادبي معروف في كل الحضارات واللغات: تشبيه الانتاج الادبي او الفني او العلمي بالاولاد. "انهم اولادي"، يصرخ اكثر من مبدع. وعليك ان تعطيهم الحق كله.

ولان الحياة رسالة، ورسالة الابوّة والامومة شريفة وعظيمة، فان امام الانسان رسالة عظيمة عليه القيام بها. ليست طبيعية غريزية، ولا مفروضة ومعلومة بوضوح كبير، بل مطلوب من كل منا اكتشافها، واجهاد النفس في تفهم مضمونها، والنهوض بها بروح المسؤولية والالتزام.

واقسى ما يمكن ان يمّر به انسان ما في حياته هو ان يكون يتيما، واصعب من ذلك ان لا يعرف من امه او من ابوه. واشدّ ايلاما حين لا يريد اب اوام ان يعرفا ولدهما. انه الاجرام الاعظم. والادب العالمي مليء بما يؤكد قسوة هذه الحالات والمحاولات اليائسة التي يقوم بها الاولاد احيانا لاكتشاف والديهم.

يعجبني جدا مثل هذا التعليق: "هل انت ابوه، او أمه"؟ ويقصد الشخص المعترض التصاق الشخص بالاخر او بالشيء او بالعمل، بحيث يكون

جزءا منه. فالابوة، والامومة، عطاء، والعطاء هذا ليس عطاء شيء، بل عطاء الذات بلا مقابل ولا حدود ولا توقف.

وعلينا ان نربّي انفسنا على الابوّة والامومة، فلا تبقى عاطفة غريزية لدى من هم آباء وامهات ولهم اولاد طبيعيون، ويتحسس الجميع، بل بعقلون، ابوتهم وامومتهم، لاولادهم الطبيعيين، كما للاولاد جميعا، وكذلك لكل ما هو بمثابة الاولاد. وعلينا ان نتسامى بهذا العور بحيث نحوله الى مسؤوليةواعية وناضجة.

بهذا المعنى ندعو الله "ابانا" (كما علمّنا المسيح). وهو كذلك أمّنا. فهو الاب والام، وفي الله ليس من جنس، كما ليس من جسد، لانه روح، وكله روحي عميق ومتسام. وهي اعظم حقيقة تكشف لنا عن سّر الله، بل عن شخصه وشخصيته، كما عن كيانه وواقعه.

واننا، اذ نعمق فينا الشعور بالابوّة والامومة، وننمي فينا مسؤولية ابوة شاملة وامومة شاملة، نتشبه بالله اب الجميع، ونصبح اكثر بكثير ابناء وبنات حقيقيين له.

(30) الـــــه البشـــــــر

كنت القي محاضرات في اللاهوت، معتمدا كتاب الكردينال راتسنجر (مدخل الى الايمان المسيحي)، واعجبني تصنيفه واقع الله الى ثلاثة مفاهيم، وكأنها ثلاثة وجوه لله. وعدت بالذاكرة الى سنوات قليلة خلت، حين قدمت في اكثر من مكان محاضرات بعنوان: ثلاثة وجوه لله. وكنت يومها لم

اتعرف بعد على الكتاب المذكور. واستوحي اشياء من الكتاب، دون الرجوع اليه، لاني، كعادتي، ادون هذه الخلجات دون الرجوع الى شيء، عدا ما في الفكر والقلب والوجدان، لانها خلجات. (واترك لاخرين ولذاتي مجالات بحوث محققة وموثقة).

لله وجوه ثلاثة، اي اننا، نحن البشر، قد كونّا لانفسنا عن الله ثلاثة مفاهيم. فهو (اله الاساطير)، وهو (اله الفلاسفة)، وهو (اله الايمان)، وافضل ان اسمي الاخير : (اله البشر).

وسواء حضارات قديمة عديدة، او واقع كثير من الناس وفي كل الديانات، هو اخذهم بايمان الاساطير. ويسهل شرح ذلك بالنسبة للديانات الوثنية في القديم، حين ركب الناس على مفهوم الاله حكايات وامورا غريبة، اضافة الى تأليه قوى الطبيعة، بل غرائز الانسان وحياته وواقعه. ولا يشذ عن هذا كثيرا من يفرغون محتوى الله في طقوس وشعائر واعياد وممارسات وفروض وقوانين، فيغدو الله صنما، شرطيا، خفيا، لا علاقة له بالانسان بشكل مباشر.

وحين حاول العقل ادراك شيء من حقيقة الله، اعلاه عن حيثيات الشعائر والتشريعات والشكليات، لكي يصنع منه فكرة او مثالا او حقيقة مطلقة، فكان هو المحرك الاول، خالق الكون بقدرته اللامتناهية، القائم بذاته ولذاته، هدف البشر والكون باسره، يدركه العقل بل يحتويه، لانه نتاجه في آخر المطاف.

وسواء اله الاساطير، ام اله العقل، لا رابطة كبيرة بينه وبين البشر، ولا حياة. انه اله – آلة، اله – مصلحة، اله – دمية، فهو لاهوت فيزيائي، سياسي، ميثولوجي.

اما الله، الاله الحقيقي، فهو غير هذا كله. انه الحي، الحب، الاب والام.

لا اجد مثالا اروع من مثل يقدمه لنا المسيح يسوع في الانجيل (لوقا 15). ساقدمه بتعليقات اتحسسها بعمق.

كان لراع مائة خروف، فاضاع واحدا. الواحد من المائة ليس بذي بال، على الصعيد الاعتيادي للامور. والضال، في الانجيل، هو الخاطىء والاثيم، فهو الذي يضل، والذنب ذنبه، ومن المنطقي اذا ان يهمل، بل ان ينال جزاءه. لكنه راع "صالح"، لذا نراه يسعى في اثره. وهل تدرون ماذا يفعل؟ يترك التسعة والتسعين في البرية، ويسعى في طلب الضال. االا يخشى فقدان التسعة والتسعين، او على القليل قسم منها؟ ويمضي جادا، ويسعى بكل اهتمام، ولا يكف حتى يجد الخروف الضال، العقوق. ولا اظن انه يمكنكم بسهولة ان تتخيلوا ما يفعله الراعي؟ من المفروض ان يوبّخ العاقّ، ا يقاصصه،ان...كلا. انه. آه!...انه يحمله على منكبيه، وياتي به الى حيث الخراف. ويكمل المسيح في انجيل لوقا: انه يفرح به اكثر من التسعة والتسعين الاخرين!

كل شيء في هذا المثل هو غير طبيعي، غير منطقي، وغير معقول تماما. انه تصرف الله. كل تصرفات الله هي غير منطقية، غير طبيعية وغير اعتيادية. ان اعمال الله هي دوما عكس المفروض والمقبول والمعقول.هذا

هو الله. انه غير اله الاساطير والخرافات، وغير اله العقل والفلاسفة. انه اله الحب. واله الحب هو اله البشر.

سنظل ابدا غير عارفين من الله، على حقيقته الحقيقية. سنظل قاصرين عن ادراكه، واستيعابه، واحتوائه، انه اسمى واعظم. لكنه هكذا، ليس لانه خفي، وبعيد، واكبر، بل لانه حب.

لم يخلقناوحسب، بل يرعانا ايضا. يسهر علينا كما تسهر الام على فلذة كبدها. يعرفنا واحدا واحدا، ينادينا باسمائنا. لسنا اعدادا ولا نكرات. يغفر لنا حتى اساءاتنا اليه، وينسى كل خطايانا. ويعمل المستحيل لكي لا نبتعد عنه، فهو لا يبتعد ابدا، ولا يهملنا، ولا ينسانا، لكننا نحن من نبتعد، وننكر، ونكر،، ونحقد. ويقوم بما لا يمكن ان يتصوره عقل : من اجلنا ومن اجل خلاصنا ينزل من السماء، ومن اجلنا ومن اجل خلاصنا يضحي بالابن الوحيد في سبيل افتدائنا، ومن اجلنا ومن اجل اسعادنا يمنحنا ذاته.

اله كهذا لا معنى له بدون البشر. انه حقا "اله البشر". ليس بمعنى انه من صنعنا نحن البشر. وليس بمعنى انه لا وجود له بذاته. وليس بمعنى اننا وهو سواء. ولكن، لانه الله، ولانه الحب، ولانه كل شيءن فهو يفرغ من ذاته، ولا يبقى من قيمة لمحتوى حبه، ولا يمكن ان يحقق حريته وسعادته الا اذا كان حبا. وان يكون حبا، يعني حتما انه يحبنا، وكأن وجوده مرتبط بنا، او انه بحاجة الينا، وسعادته بنا. وقد قال الله في الكتاب: ان نعيمي بين البشر. وحين سالوا المسيح عن الملكوت، قال: ان الملكوت في داخلكم، اي فينا يقيم الله.

ويبتعد الانسان عن الله، والله يظل ملازما اياه. وقد لا يحب الانسان الله، ويظل الله يحب الانسان. ويتجبر الانسان فيعتبر ذاته سيدا ومقتدرا وباقيا الى الابد، بينما نلقه الله ضعيفا، خدوما، متفانيا، يلاشيه حبه العظيم في بحر عطاء دائم. ولانه كذلك، فهو الله، وايماني به هو اشد واحق. انه اله الايمان.

تنقل الى : انجيليات : (30) لا للترقيع والمساومـــــة

ترد في الانجيل امثلة كثيرة مستمدة من العادات والحياة التي كان اناس تلك الازمنة والمكان معتادين عليها. وهذا القول واحد منها، اذ يقول المسيح: لا تجعلوا رقعة جديدة في ثوب عتيق، كما لا توضع الخمرة الجيدة في زقاق تالف. والسبب؟ لئلا يتخزق الثوب، ولئلا تتلف الخمرة.
اما تقليعات الازمنة الحديثة بترقيع الثياب فشيء آخر. ويظل المقصود العميق هو عدم الترقيع، وعدم المساومة، لان النتيجة ستكون سلبيةحتما.
فمن يحاول ان يطعّم شيئا عتيقا بجديد، سيلقى نفسه في آخر المطاف مع العتيق وحده، او بما يضحك ويبكي، لان خلط الاثنين كخلط الحلو والمرّ، مما تمجّه الانفس.وليسوا بقليلين من يفعلون ذلك.
كان يحاول ان يكوّن له فكرا معاصرا، لكنه كان ذا فكر تقليدي، فكان يضحك احيانا في ما يذهب اليه، وكان يبكي احيانا كثيرة. وحاول كثيرا فلم يفلح، لانه لم يدرك معنى التجديد.

ولطيبه، او بالاحرى لضعفه، كان يقول للواحد: انت على حق. كما كان يقول للآخر : وانت ايضا على حق. فلم يكن يرضي ايا من الطرفين، وكان الكل يعتبرونه عديم الشخصية.

ومن اتعس الامور هي المساومة على الحق. فالحق نور، حتى لو غلف بضباب وغيوم، او كان ضياؤه فاضحا لما لا تحب او يحب الاخر ان يكشف عنه، ولا بدّ له ان ينجلي يوما، ويظهر الباطل، فكيف نساوم عليه، ونبتعد عن وضح النهار لنكون ابناء الليل ؟

و التجديد فشيء آخر تماما. فهو يفترض شيئا ويضيف شيئا، اي لا بد من القديم مع اضافة شيء جديد، لكن الاضافة هنا لا تعني واحدا زائدا واحدا، ولا حجرا اضافيا الى بناء قائم، بل نفحة روح جديد في ما يكون قد دب فيه من الوهن والتراخي، وتطعيم ما قد اصبح عقيما، واذكار نار قد خبتت، وتأوين كل شيء بشكل دائم.

لذلك، فهناك فرق واضح بين "احياء" شيء، و "اصلاح" شيء"، و"تجديد" شيء. كما بالنسبة للتراث أو لأي شيء له عمره. ونحن هنا انما نقصد التجديد، فالتجديد وحده سنّة الكائن الحيّ، انسانا كان، أم فكرة، أم مؤسسة، أم تقليدا، أم بمعنى الذاكرة الحيّة.

وما افتراض القديم الا لعدم امكاننا البدء من الصفر. فالحياة ليست مسائل رياضية. والانسان تأريخ وخبرة ونموّ. لكنها مراحل الحياة الانسانية، الفردية والجماعية، تقتضي تجديد ما هو عتيق، ان شئنا ان نعيش عصرنا، ومن يتخلف يصيبه السقم، والانحلال، فالفساد.

التجديد سنّة الحياة، ليس بمعنى انها مفروضة وحتمية، بل بمعنى المطلوب عن وعي وارادة، بتلهف وحماس، ولا يتم تحقيق اي تجديد الا بالانفتاح، وقبول الاخر، والتحرر من اشياء كثيرة، والمجازفة.

وطبيعة الانسان ميالّة مع تقادم الايام والازمنة الى الانغلاق والانكماش والاكتفاء والادعاءات، فالخمول والتراخي والهزال حتى التلاشي رويدا رويدا. لذا كان التجديد ضرورة وجود وحياة. فمن لا يعيش يومه لا يعيش اي يوم. اذ لا يمكنك ان تعيش الماضي ولا المستقبل. الحاضر وحده هو الذي تعيشه، وهذا الحاضر هو جديد كل آن، فلا بد لك ان تتجدد، والا... وينافي التجديد اي ترقيع ومساومة، لانه جديد كل حين، يجدد العتيق نفسه، ويذكي الوجود والواقع، فلا تشعربالمشيب والعجز والشيخوخة، بل تظل شابا في فكرك، وقلبك، وفعلك، وحماسك، وعطائك.

(31) الممتلىء لا يمتلـــــىء

لديك قدح ماء ملآن، هل يسعك ان تملأه اكثر؟ هكذا تماما من يدعي انه ممتلىء، علما، فضلا، فضيلة...فانه لن يمتلىء اكثر، ويظل ابد الدهر ناقصا...

عرفته ضخما. لو رايته لقلت انه احد العباقرة العظام، لكن تصرفاته افصحت عن هزال كبير في فكره وعقليته وتصرفاته، بحيث انك تحترم الطفل والمحدود من افكاره وافعاله، ولا تتحمل لجظة شخصا تافها كهذا،

يزيد على ما هو من سطحية وهباء، ادعاءات فارغة تجعله مبعث سخرية للكثيرين.

وقدموه لي على انه مدرب حيوانات. كان ضخم الجثة بحيث توقعت ان اسمع منه صوتا هادرا، لكنه اذ كلمني، جاءني صوت رقيق عذب، اشبه بصوت طفل، بل صوت صبية ناعمة. وكانت حركاته كلها هادئة ولطيفة. فادركت سر نجاحه في التعامل مع اشرس الحيوانات. لذلك، حين شاء سيسيل دي ميل ان يصور مشهداحقيقا في ادخال سائر الحيوانات الى الفلك في مشهد الطوفان ايام نوح، جاء هذا الرجل الطيب واوكل اليه المهمة العسرة، فنجح، وكان تعامله مع الحيوانات حتى الوحشية كما مع الاليفة الوادعة.

ورايته قابعا في اواخر مقاعد قاعة المؤتمر، يستمع بانتباه الى شخص كان يبيعنا علما، وهو لا يفقه الكثير. وكان معظم من في القاعة ضجرين، وراح البعض يطلقون تعليقات تهكمية، وصاحبنا مستمر في تبجحاته الفارغة. اذ التقينا في فترة الاستراحة، عرفت انه عالم جليل مرموق، فعجبت كيف انه احتمل صاحبنا واستمع اليه.

وعدت الى الذات: لا يقول العالم ابدا انه عالم، ويسقط القديس من قداسته ان ادعى لحظة انه قديس. وحده الجاهل يظن نفسه عالما، والمتعود على الشّر لا يبالي بما يرتكب من شرور. "العلم ينفخ"، قال الرسول بولس، ومن ينتفخ لا يستطيع ان يفكر بعمق. وكم من "طبل" في العالم لا يحتوي الا الهواء، والهباء!

ليست هذه دعوة الى الاكتفاء والجمود والاستسلام. بل الى المزيد من طلب العلم والفضيلة، دونما توقف واكتفاء وادعاءات كثيرة.

تنقل الى: انجيليات :(32) احـــــذر القلـــــق

استوحي هنا ايضا شيئا من الانجيل، من مواضع ثلاثة.

كانت تخدمهم باجتهاد، تعّد لهم ما يأكلون، فقد تعبوا النهار كله، وهم ضيوف اعزاء، بل لا اعز منهم، المسيح وتلاميذه، بينما كانت اختها جالسة عند قدمي "المعلم" تستمع، ولا تحرك ساكنا. ولما جاءت تشكو حالها للمعلم، وبخها بدلا من ان يوبخ اختها ويامرها بان تساعد المهتمة والمرهقة بالخدمة. فهل هذا هو المنطق السليم؟ وما معنى كل هذا؟ انه منطق الاحق والاعمق، لا يفقهه الا من يحياه. انه منطق الله.

وفي الموضع الثاني يقول يسوع للكل: لا تهتموا بما تأكلون، ولا بما تشربون، فانتم افضل من الطيور، وافضل من زنابق الحقل. انها لا تزرع ولا تحصد ولا تنسج، وابوكم السماوي يقوتها ويلبسها...فكم انتم، يا قليلي الايمان؟ واخشى هنا ان يفهم البعض تحذير المسيح دعوة الى الكسل والاتكال الرخيص. انه شيء مختلف تماما.

وكان ثريا، واغلّت له ارضه غلات كثيرة، ففكر في نفسه وقال: اني املك الكثير وليس لي مكان اضع فيه غلاتي، لذا اهدم اهرائي واوسعها واضع فيها ما املك. فجاءه صوت السماء ليلا في المنام: يا ناقص الرأي، في هذه الليلة تؤخذ نفسك منك، فهذا الذي اعددته لمن يكون؟

وحاول الفكر الوجودي المعاصر، لاسيما مع كيركيغارد، ان يبني نهجه على القلق، فبلغ السأم والتقيؤ والعدم. فالبون شاسع بين الشك والتساؤل والبحث المستمر، وبين القلق الذي ينخر حتى عظام الذات. اما ذاك القلق الذي هو عدم استكانة كسول وطمانينة استرخاء وراحة خمول، فهو سعي دائم نحو مزيد من كشف، وشوق عارم الى حب كبير، كقلق اوغسطين الذي لم يلق له هدوءا ونعيما الا في قلب الله.

لا يدعونا المسيح الى البطالة، ولا الى الاتكال السلبي، ولا الى اللامبالاة، بل الى عدم القلق، لان القلق سوس ينخر حتى الحديد، وسرطان يفتك بالانسان وينهيه. انه داء عصرنا بشكل كبير. وقد كثر الاطباء النفسانيون بحيث فاق عددهم في بعض البلدان عدد الاطباء الجسمانيين. وتعرفون في اي من البلدان؟ في تلك التي يخالها معظم الناس مترفهة، آمنة وفيها جميع وسائل الراحة والرخاء. لذا يأتي تحذير المسيح في ايامنا، كما في كل الايام، صوتا مدويا هو انجع علاج نفساني، روحي، انساني، اي بشرى خلاص.

(32) كبش فـــداء وعاصفة في فنجـــان

كنت يومها اعمل بلا هوادة، لا يوقفني شيء، ولا ابالي بالصحة والوقت، فالشباب حيوية ونشاط وعمل دؤوب، لا يعرف التقاعس، والراحة، والهدوء. وكان يلحظني، يلاحقني، يحرص علي، ولشدة اهتمامه بي وحبه، كان يردد على مسمعي مرارا وتكرارا: انك تجهد نفسك كثيرا،

واكثر بكثير من المطلوب، وسوف تتعب، وتقع، وتندم، ولن ينفعك احد.

وكنت ابتسم راضيا، فانا اقدس العمل، واعتبر التعب مسالة طبيعية، ولا يوقفني مسار، ولا يصدني عائق...وكان صاحبي يلح علي اذ يراني مرارا في المقدمة من محابهة الصعاب ومقارعة كل ما يشنه البعض ضد القيم والمثل ومسارات الانماء والعمران، بل اول المناضلين في صفوف المطالبين بالتجديد، فيقول لي : سوف تكون كبش فداء.

وكان مطراننا الشيخ يقول لنا نحن الشباب باستمرار: ثلاثة امور لا يعرفها الشاب: الوقت والصحة، والمال. وكنا نضحك ملء شدوقنا، فالوقت كله لنا، ونحن من الصحة على احسن ما يرام، وما قيمة المال ان لم يكن لصرفه واستخدامه؟...

واعود الى ذاتي فافكر مليا. ويخطر ببالي ان اوافقه كلامه، ثم استعيد الحمية والغيرة فاذكر المسيح، كبش الفداء الاعظم. فاقول: وهل انا افضل؟ ويقيني ان من يريد الاصلاح والابداع، عليه ان يقبل بالتضحية تامة. اما العمل المقنن، والتعب المقتر، والتضحيات الصغيرة، فلا جدوى منها، لانه "ما من حب اعظم من حب من يبذل نفسه عن احبائه".

لكنها صعبة جدا، بل متعبة ومرهقة حقا، حياة من يقبل بالمواجهة، ومن يعرض ذاته لرياح شديدة تهب عليه من كل الجهات لتصده وتوقف مسيرة النور ومبادرات الحب. سيكون لا محالة في وضع لا يحسد عليه، يدفعه حتما الى التفكير مليا قبل اتخاذ الموقف الصحيح الذي يتيح له النجاح في مهمة ليست مأربا او وسيلة او مغنما، بل رسالة حياة. سيكون طعاما للكثيرين، وهنيئا لمن يطعم الجياع!

وكان ألمهم كبيرا جدا، فهو وضع لا يطاق...وحاولوا ان يعملوا شيئا. لم تكن لهم اية مصلحة شخصية. كان كل همّهم : الخير العام، خير الجميع. لكنه، ومعه آخرون، لم يكن يتحمّل اي تغيير، وتجديد، والخروج من شرنقة قوقعة أنانية...فحاربهم، ومعه اعوانه، بشتى الطرق، ولاسيما باساليب عجيبة غريبة، فيها من الاحتيال، بل الدجل، والحاق الاذى، الشيء الكثير. لكنهم لم يكفّوا، ولم يملّوا، بل واصلوا سعيهم مجّدين، فهدفهم اسمى من ان تلويه عواصف الدنيا. وكان تندّر القوم عليهم: سترون...انها مجرّد عاصفة في فنجان.

هل اقول انها لم تكن كذلك...غير ان قوى الشّر كثيرا ما تنتصر ظاهريا. وهكذا كان، اقلّه الى حين.

ما زلت اذكر عصر ذلك اليوم: كنا في غابة المانية، فتلبدّت الغيوم بسواد كثيف، وابرقت، وجاء دويّ الرعد يصمّ الاذان، وهطلت امطار غزيرة، كسيول شلالات وهدير امواج بحار...وتكسّرت غرسات كثيرة، بل سيقان شجر، ولجأ الكل الى مخابئ واقية...ثم هدأت العاصفة، فكان النسيم، وكانت الشمس، وكان الصفاء.

أتكون العواصف كلها هدوءا يطيب الانفس، وصفاء ينعش القلوب، وجديدا يذكي الحياة؟

تنقل ال: انجيليات : (34) معلّق من اجلـــنـــا

اجابتني ببحّة صوت تخنقه دموع سخينة: "اجل، لقد تألم المسيح، عزّ اسمه...انما ساعات معدودة، وانتهى الامر. اما انا، فاني اتعذّب منذ 35 سنة، وعذابي لا يحتمل. حتى أيوبن مع كل صبره، لم يكن ليحتمل ما احتملت. لذا تراني اتّمنى الموت الف مرّة...". تمكنّت يومها من التخفيف عنها بكلمات لا يمكنني استعادتها، فكلمات مثل هذه تحضرك في حينها، ويستحيل تكرارها.

يظن البعض ان المسيح لم يتألم الا ساعات واياما معدودة، نجددها سنويا في اسبوع. انها مجرد ذكرى. ويظنون انه قد أكمل الشوط، واحال نفسه على التقاعد، فهو الان ممجّد! وتشاء الصدف ان يكون عمر المسيح مقاربا سني تألم تلك المرأة المنسحقة. والمسيح هو المتألم منذ الساعات الاولى من حياته البشرية. يلاحقه هيرودس ليقتله، بل يولد في مذود بيت لحمن ولا حجر يسند اليه رأسه، ويتألب عليه الشّر بكل قوان ليقضي على جذوة الخير والحنان والغفران والحب. ويتنكّر له التلاميذ، بل يخونه احدهم بقبلة قاتلة. لذا كان له ان يقول: " من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني، لا يستحقني"، فقد حمل صليبه فعلا، كل يوم، وسار في طريق جلجلةحياة صعبة، واصبح ضحية من اجلنا نحن البشر.

منذ سنوات كنت قد طلبت من احد فنانينا ان يرسم لنا لوحة المصلوب لسالفادور دالي. ويصوّر هذا الفنان الكبير المسيح المتألم معلقّا على الصليب، ورأسه منحن لا يبان منه اي شيء، واجزم بأنه ما يزال حيّا، لكنه في ذروة الالم، يتطلع الى الارض، بل يحتضن واقعنا البشري باسره. وقد كانت اجواء الفنان الاسباني منطفة برشلونة، وصيادو اسماك

يعملون في شباك الصيد، والطبيعة بالف لون وحال، كواقعنا المعاصر. انه المسيح الحّي، المحتضن واقعنا الاليم بألمه، والمعلّق على الصليب من أجلنا.

ليس الله خالقا متفرجّا، ولا سيّدا لا ابااليا، ولا ربّا متعاليا لا تهمّه اوضاعنا. انه خلاّق مبدع حريص على ما صنع وابدع، وهو أب يتفطّر قلبه ألما لاي ألم ينتاب اولاده، وهو حبيب غيور جدا على أحبائه. ولا، المسيح حّي الى الابد، فهو المتألم ابدا، رغم ما عليه من مجد عظيم، وكل مشارك في آلام الاخرين ومخفف عنهم، يكمل فيه ما ينقص من آلام المسيح. انه سّر المشاركة ما يعطي الالم معناه، ويرسم لوحات حب يتذوق حالاتها العذبة كل من يعرف الحب واختبره بعمق.

(32) كل الامهـــات اساطيـــــر

امهاتنا الطبيعيات، امهات المصادر، امهات الروائع، امهات الاشياء...كلهن وكلها اساطير!

هل ترضى ان تكون امك امرأة عادية؟ الف كلا!. انها امك! هكذا هن بل هي كل الامهات.

وكما ان لكل شيء، وظاهرة، وابداع ابا، فان لكل شيء أمّا ايضا. وكما ان الاب لا بعرفه على حقيقته الا اولاده وافراد عائلته، هكذا هي الام.

وبسهولة كبيرة يتحول الواقع اسطورة رائعة!

ليست الاسطورة خيالا، ولا خداعا، بل عمقا، وبعد خلود. والاباء والامهات من هذا الجنس الاسطوري.

كنا في القطار، واخذنا نتحدث عن كل شيء: عن الايمان، والادب، والفن، والحياة...وجاءنا لنصبح ثلاثة في العربة الليلية. وشرب كأسا، فلعبت به الشمول، واخذ ينشدنا شعرا شعبيا. اذ ذكر ابياتا تخص الام، وانشد امه بالذات، خلته في الاعالي، ورفعنا بوعي وجداني ساحر الى اجواء اثيرية خلابة. لن انسى تلك الليلة ما حييت، فهي من ليالي العمر حقا!

اذ تريد ان تتعرف على احد او على شيء بشكل دقيق، مستوفى، وممتليء بالحياة، فالافضل ان ترجع به الى اصوله البعيدة، فتتساءل عن الاب والام، وتكتشف عندئذ امورا قد تخفى عليك لو حصرت المعرفة على ما هو امامك وحسب. الاباء والامهات يتركون لا محالة بصمات لا تمحى في حياة اولادهم وابداعاتهم."انظر كم يشبه اباه!"..."انها أمها بعينها!"...

ليس الاولاد نسخة طبق الاصل من آبائهم او امهاتهم، انما ليس ثنة انقطاعا، او انسلاخا، او استلابا. الاباء والامهات الحقيقيون خير من يعطي، وخير من يفخر باولادهم، وافضل من يخلدون فيهم. انها لاكثر من الحقيقة الاعتيادية. انها من حقائق الاساطير ذات الرموزالمعبّرة، حقائق عالم جميل.

وتبقى الأم رمز العطاء. انها معين لا ينضب، كله حنوّ ورقّة وشفافية وبذل ذات. الأم لا تقول "كفى"، وهي لا تطالب بشيء، ولا تتضجّر أبدا. الأم أم، وحسبها ان تكون أمّا.

(33) من احبه يسافر

فاجأتني بهذه الكلمات وانا غير مسبق باية اشارة، فهي واحدة من عشرات اراهم واراهن مرتين في الاسبوع، واحيانا ثلاث مرات. لم يخطر ببالي اني قد جلبت انتباهها، لكنها، كما يبدو، كانت تبني علاقة، المرة تلو المرة، حتى اطلقتها دفعة واحدة، بدون مقدمات، وبشكل مريح تماما.

فقالت: بالامس، احببت فلانا، وسافر. واليوم عرفت انك انت ايضا ستسافر. ولم تقل: واحببتك، ولكن...فاجبتها، وانا ايضا، وكانت اجابتي بعين طريقتها المباشرة. واردفت: ولكني اسافر ثم اعود.

واعجبني الحوار ففكرت...الحياة حقا سفر دائم. من لا يسافر يموت. واوضح الالتباس. انا لا اقصد السفر هنا رحيلا ضروريا عن الديار، والاهل، والانطلاق الى بلاد بعيدة ولقاء اشخاص آخرين، بل المسير، والسعي، والبعد، والتحليق عبر المكان والزمان والناس والاجواء التي طالما اعتدنا عليها. من لا يفعل هذا، يلقى ذاته ضمن قضبان آسرة لا تتيح له الحركة، ولا تلبث مياهه ان تمسي آسنة، ويتملكه السأم الخانق فيفقد طعم الحياة.

ليس تقلبا، ولا انفلاتا، ولا عدم اسقرار، بل تحركا نحو المجهول لاكتشاف مزيد من معرفة، وخبرة، وافق. وليس كالترحال ما يعلّم ويغني، متى عرف صاحبه ان يحولّه وعيا واستنارة وغذاء.

اذ يسألني احدهم: انى لي ان اعرف صديقي واكتشف حقيقة امره، اجيب بدون تردد: سافر واياه، فانك في السفر تتعرف عليه حق المعرفة، ولا يمكن لاحد ان يخفي امره ابان سفر ايام.افكاره، اذواقه، مشاربه، عاداته، عقليته...كل شيء سينجلي، ويصعب علي المرء التستر وراء قناعات مفتعلة.

كانا متحابين، ولازما بعضيهما اشهرا طوالا، لكنها اكتشفته في سفر اسبوع، فبان على حقيقته، بدون تصنع وتمثيل وادعاءات...السفر خير معلم.

وتظل الرحلات من الاداب الشيقة. والرحالة الذكي المبدع هو من يرصد المواقع والاشخاص والاحداث، من يحللها وينقدها ويستقي العصارة والعبرة، حتى يقدم اللقمة الطيبة على طبق من ذهب.

ان لم تتح لك الحياة السفر، فارحل الى اعماق ذاتك، مرة كل اسبوع، كل شهر، كل سنة على الاقل، وستلقى الكثير مما لا يسعك ان تجده لو بقيت بلا حراك، ولا تغيير، ولا تنويع.

كل العظماء كانوا مسافرين. لقد قطعوا الحياة كلها سفرا دائما. لذا كانت حياتهم ملاى بالتجربة الرائدة والحلم الجميل المستمر. لا تكن اقل منهم.

(34) شفافيـــــة الحيـــــاة

في تراثنا المشرقي تتخذ "الشفافية" بعدا متجليا. فهي شفافية الكر وصولا الى العين المتنيرة، وهي شفافية القلب وصولا الى عين القلب، وهي

شفافية الجسم وصولا الى النقاء والطهر. واضيف شفافية السلوك وصولا الى الطيب، بل هي شفافية الانسان كله وصولا الى التناغم، والطيب، والكمال.

اعمل منذ سنوات في دراسة المندائية (الصابئة) وعلاقتها بالافكار والاديان والطقوس الاخرى. وجميل ان تتخذ الحياة معنى متميزا لدى المندائيين، بدءا بالله العظيم الذي يممونه "الحي". وهم يركزون على الماء الجاري، فهو حي بل الحياة، وحسنا يفعلون.

كلما اود ان اتحدث عن تشخيص واقعي عميق، او عن استجلاء فكر او حالة او موقف، الجأ الى مثال المياه المتحركة والساكنة، فاقول: لا تترك المياه ساكنة، فانها لن تلبث ان تصبح آسنة، بل حرك المياه ولا تخف، فانك في المياه المتحركة تتعرف عليها وعلى ما في باطنها.

وكان يعمل بلا هوادة، بل كان "يذبح نفسه" في العمل. وكان ذكيا، يعمل بدل عشرة وعشرين، لكنه كان فظا، خشن التعامل، صلف الفكر، سليط السان. نصحه اكثر من واحد، ولم تكن الغاية المرجوة. وحاولت معه، فلم استفد. ثم فكرة بطريقة مختلفة، فعرفته على شخص رفيع الشفافية، ولقيته بعد اسابيع، فا1ا به غير ما كنا نعهده.

وتذكرت انكيدو. لقد كان خشنا، قاسيا، فظا، بل وحش قفر لا يتميز عن بقية الوحوش، حتى في المظهر الخارجي، والاكل، والتصرف، والحياة كلها. وعرف المرأة، روضتّه اياما (سبعة ايام وسبع ليال: العدد المقدس من الايام (، فانقلب "انسانا". بحق توصف المرأة بالشفافية اكثر من

الرجل، متى تكون كذلك. لانها ان لم تكن، انقلبت شرسة خشنة سمجة اكثر من الرجل بكثير. فالمرأة اما تكون رقيقة، طيبة، مكتملة، عظيمة، او لا تكون. انها لا تعرف الوسط

ان اتعس ما يصطدم به الانسان "الشفاف" هو الخشونة. راحت تردد اكثر من مرة: لماذا يعاملونني بقسوة. وادركت ان الخشونة والقسوة شيء واحد، كلاهما يضادان الشفافية. وفهمت ان الحنان من الشفافبة، والرحمة، والحب. وحاولت ان ارجع الى الاصول، فقرات الكثير عن الشفافية، لكني اصطدمت بالبعض يساووم ما بين المادة والخشونة، وما بين الروح والشفافية، وظهر لي خلل في مثل هذا التفكير الثنائي المجزئ، الذي لا يشرح وضعنا البشري كما هو عليه. وقلت: كلا. فكم من "مادة" هي شفافة تماما، وكم من " روح" (او نفس) هو من الخشونة التي لا تطاق...لذا فان جوهو الشفافية شيء آخر. الشفافية لغة ونظر. انها الجمال والحق والصلاة. انها الحب بانقى واعظم معانيه وابعاده.

الشفافية بلور، كريستال، شعاع، نسيم. انها شيء من السماء

(35) عينـــان ومائة والـــف

تحبه، ولا تقوى بدونه، لكنه...يحب ايضا غيرها. وتلك، ذكية، تشده اليها باساليب واحابيل. واذ يلتقيان، هي وهو، يؤكد لها حبّه، ويؤكد ايضا بانه لا طاقة له على ترك الثانية، فكانت محتارة، وسألتني: ماذا تنصحني؟

قلت: لك عينان. هذا واضح. ولكن، لا تنسي بان لك مائة عين والف. فاترفع وجهها عاليا واقترب مني كثيرا، وبع صمت لحظات، قالت: انا؟ قلت: بل كل واحد. اجل. انما، كل من له من العمق والبصيرة. وانت تتمعين بهما. فالعينان هما لكل منا. واعين القلب مائة، واعين الفكر الف. وانت، على ما يبدو لم تستعملي بعد كل الاعين. اما صاحبك، فلا اظنه يستعمل اعينه...وفهمت جيدا ما كنت اعنيه.

يقول الروحانيون بالعين الباصرة، وقد تبناها العلم الروحاني الحديث، الباراسايكولوحي) فاحلها في مكانة متميزة، وعزا اليها الاستبصار، وشرح بواسطتها مئات الاحداث الخارقة. واعتقد ان لكل منا عينا باصرة اقوى بكثير من العينين الطبيعيتين.

رأيتها للمرة الاولى في اجتماع مثقفين وفنانين، وتحدثت صدفة عن مشروع يخص المكفوفين، وكيف انه في امكانهم اليوم استخدام الحسابة (الكمبيوتر)، فتكلمت، بل قدمت نفسها للعمل في المشروع، وخرجنا، والتقت بي، وكان كل شيء عاديا. ثم اكتشفت بع أيام انها ولدت عمياء، واجريت لها عملية ففتحت عينها اليمنى، بينما لم تستفد اليسرى كثيرا، وكانت تبتسم، والبسمة في العينين والوجه كله، وكانت تعبر بذلك عن اروع حالات النباهة، والذكاء، والعمق، والشافية.

لو فتحنا كل الاعين، لتحولت حياتنا الى غير ما هي عليه، على كل الاصعدة، وفي سائر اللحظات. لكنناغالبا ما لا نستعمل الاعين كما ينبغي، والاغلب هو استخدامنا القليل جدا من الاعين التي لنا وبوسعنا ايضا ان

نزيدها فينا، فتصبح ذاتنا منافذ ومصابيح. حينذاك لن يدركنا ظلام ولا ضياع ولن تجرفنا رياح الاهواء فنفقد الاتزان.

كنت يومها مع رفقة في اعلى جبل في المنطقة. كنا شبابا متحمسين، نقطع خمسين كيلومترا في اليوم، لا نبالي بالادغال، بالقمم، بالحر، بالجوع، بالتعب...كنت احد المغامرين. وانا اؤمن بالحياة مغامرة كبرى ودائمة. ووصلنا حافتي جبل، بل قمتيه الحادتين، وكان علينا ان نقفز من الواحدة الى الانية، ووسطهما فراغ هو الف متر على اقل تقدير، والحافتان دقيقتان وغير مستويتين، وعلك ان لا تفقد التوازن شعرة واجدة. فماذا تفعل؟ ان تفتح اعينك كلها. عندها اكتشفت ان لي اكثر من عينين. وانا اذ اسجل الان، وكعادتي دون الرجوع الى قراءات وكتابات، فلاني قد اختبرت هذه الحقيقة، واشعر بانه من الواجب علي ان اقدمها للاخرين، فالبخيل في المعرفة لم يفقه بعد معناها. ونحن انما بعطائنا ننمو ونسعد.

(36) الصمت ابلغ الكلام (افتتاحية السنة 24 بين النهرين)

(37) اليأس والنجـــــا ح

غريب ايضا هذا العنوان، فنحن طالما ربطنا اليأس بالفشل، فكيف ربطه هنا بالنجاح؟ لنمتحن الامور بهدوء.

ما اليأس، ولماذا يصل المرء درجة اليأس في الحياة ومن الحياة؟

سألتني: لم تصل صديقتي مرحلة يأس في حياتها؟ تفرست فيها، فقرأت ان الصديقة المزعومة هي هي، لكنها خجلا ادعت انها صديقة لها، ولم تخالف الحقيقةن فذاتها هي اعز صديقة. ولما كانت في مرحلة من العمر كادت ان تتجاوز المرحلة الاعتيادية للزواج، قلت لها: الامر متعلق بهدف الحياة. ييأس من لا هدف له في الحياة، ولا يسعه بالتالي ان يكون عميقا ومفعما بسعادة هي حالة مستمرة، لا عابرة. وييأس من يكون قد وضع هدف حياته في شيء معينن ولم يصب هذا الهدف، كأن يكون الزواج، كما في حالة هذة الفتاة. فقد قالوا لهان وافهموها باستمرار، بل حشوا ذاتها كلها، بانها لن تستقر، لن تسعد، ولن تحقق اهدافها، يل وليس من معنى لحياتها، الا بالزواج. ولم يأت الزوج، فماذا تفعل؟ انتظرت كثيرا، وصبرت، وتحملت...واخيرا طفح الكأس فلم تعد تطيق الحياة. تملكها يأس خانق...

وبوسعنا الاكثار من الامثلة، لكني ساكتفي بمثال واحد آخر. هولاء الشباب، الوف الشبابن فاحوا اعينهم على الاكل والشرب والملبس واللعب واللهو والتنقل...وكل هذا يحتاد الى مال، بل الى مال وفير. ولانه يصعب الحصول عليه، كله، وبالسرعة المطلوبة، لجأوا الى طرق ووسائل تسهل لهم العملية، واذ لم يفلحوانلاسباب شتى، فكروا بارخص الاساليب، او ظنوا بان الخلاص في التغيير، فتهربوا من والى...وحاروا في امرهم، فركبهم القلق، ثم الازمات، فاليأس القاتل...

كنا شبابا وطلابا، وكان شيخا واستاذا. لم يقبلوا افكاره وطروحاته وكتبه، بل رفضوها. وكان من المفروض، بحسب الاعتبارات الاعتيادية، ان يقنط ويترك الميدان. لكنه اصرّ، وبحث فوجد الحقيقة في ان يتغير هو، ويبدل طروحاته، ويعدل افكاره، فعاد اليه حماس الشباب، رغم شيخوخته، ووعد بانه سيكتب من جديد كل ما كان قد سطر في الماضي. واذكر انه قال لنا كلمة لن انساها ما حييت، فقد علمتني الكثير. قال: ان خطر السقوط لا يمنعك من المشي! ورحت منذ ذلك اليوم امشي، واعمل، واكافح، دونما توقف وملل، فلم اعرف اليأس، حتى في الساعات الاشد حرجا وصعوبة وألما.

اهوى الجبال، وتسلق الجبال، واستنشاق انسام القمم العالية. وحين كنا نصعد ونصعد، ويسحقنا التعب حتى يتصبب العرق الغزير ونلهث منهوكين، ولا ندري ماذا نفعل، كان خبيرنا يقول: تطلعوا بحذر الى الوراء، فنلتفت لنرى فراغا كبيرا لا تطاله العين بسهولة، واذ نركز على الجبل، ندرك مدى المسافة التي قطعناها، فياتينا صوته مشجعا: ارأيتم كم قد قطعنا من مسافة؟...فنستمر في الصعود، بعد ان اعطتنا تلك الالتفاتة قوة جديدة عجيبة. واذ يحدث ويسقط احدنا، او يتدحرج قليلا، فان الخبير كان يشجعه بقوله: تمسك بالحجر الكبير القوي. ويستعيد المتساقط توازنه، وياخذ بالصعود، حتى الوصول الى القمة المنشودة.

اجل، فالسقوط لا يعني الفشل ولا يمنع من السير. وازيد: ينبغي ان نحوله الى نجاح. كيف؟ بتشخيص هدفنا 3في الحياة ان لم يكن بعد مشخصا، او يتذكره ان كان شمخصا، وبارجاع كل الاهداف الاخرى الى الهدف

الاسمى في الحياة. عندئذ يسهل كل شيء، وتاخذ حياتنا عمق معناها، فتشرق الشمس.

(38) شـــعا را ن

اراد ان يعرف سرّي في النجاح في الحياة، رغم مظاهر الاخفاق في امور ثانوية، والح عليّ بالسؤال، وظن اني سوف امطره بكلام طويل، واذا به يفاجأ اذ قلت له: انهما شعاران وحسب، ويتلخصان في : اولا، اني لا اقول ولا اكتب شيئا بدون قناعة. وثانيا، اني لا اعمل شيئا بدون حب. بالوعي يتميزالانسان، ولا يكفي الوعي وحده في القول والتعبير عن الذات، بل نحتاج الى قناعة لكي يتحول الوعي يقينا، فالحقيقة هي الهدف. اما العمل الآلي فقد يكون انتاجا، لكنه لن يصبح البتة قيمة انسانية. كان يجترّ العلم والمعارف، ويكرر ما اجتره بسهولة فائقة، وكأنه مسجل. وكنا نشعر بانه يردد المعلومات كالحسابة، فلا نعيره آذانا صاغية. كانت مهمته التعليم، وقد حفظ درسه بشكل جيد، لكنها دروس جوفاء، لا حياة فيها، فلم نكن نستسيغها، ونلجأ نحن ايضا الى الحفظ والاعادة بغرض الامتحان والنجاح فيه. بينما كنا نحب درس المعلم الاخر الذي لم يكن يستخدم الكتاب الا نادرا، وكانت كل كلمة تخرج من فمه تجعلنا نشعر بانها خارجة من الاعماق، فننشد اليه، ونحب مادته، ونتشوق الى المزيد. كانت تقوم بجميع اعمال المنزل بحرص وبراعة، فتنظف وتزين البيتن وتهيئ الاكل الجيد بوقت طويل وتعب شديد، بحيث لا يمكن لمن يقصد

الدار من غير اهله الا ويمتدح عملها وجهدها، ولم يكن اهل الدار فرحين مرتاحين. وحاولت ان اعرف السبب، فاكتشفت آلية العمل وماديته، وعرفت بانها تقوم بكل شيء وكأنها لا تقوم بشيءن فهي تعتبر عملها فريضة ملقاة على عاتقها ولا بدّ لها ان تنهض باعبائها، اما رضاها وفرحتها وقلبها ففي غير العمل.

ليست كثرة الكلمات، ولا تشعبات المعارف، ولا سعة العلم ما ينمي الانسان معرفة ويزيده وعيا. وليست الاعمال الكبيرة ولا الخدمات الجليلة ولا الانجازات الباهرة ما تبني الناس والحضارة، بل اليقين والحب. وبدون قناعة عميقة وحب حقيقي لا جدوى من كل ما نقول ونفعل.

عندما شاء الله ان يخلق الكون والانسان، وعى ذاته فكان كلمة، واحب فكان فيضا وفعلا خلاقا لا يمكن ان يتركنا حياديين، فاصبحنا مجدا له وكان هو سعدنا. وحين يعطيك احدهم قناعاته، يدخل الى الاعماق، واذ يحبك تغدو ملكا له دون ان يريد امتلاكك، فانت له لانه قد صار لك، وكلاكما واحد.

فنصيحتي: قبل ان تتلفظ باية كلمة، وقبل ان تسطر اية كلمة، اسال نفسك بموضوعية: كم انا مقتنع مما اقول واكتب. وعندما تقوم باي عمل او يطلب منك القيام بعمل، اسال ذاتك بصدق: هل ساقوم به عن حب، ام لدافع آاخر. ان كنت تطبق ذك دوما، فلا تتوقع الا الجيد والنضج والخير.

(39) مما لا أطيقـــــــه

لست ادري لماذا لا أطيق التعصب، ايا كان شكله وحجمه ولونه...ولعلي ادري السبب جيدا!

فحين يحاول احدهم احراجي بانه امر يكاد ان يكون طبيعيا، ان تتعصب لاهلك، لبلدك، للغتك، لدينك، ول... لا اجيبه بكلام طويل ومتشعب، بل اكتفي بطرح سؤال عليه: ماذا لو كنت انت مكانه، اي مكان الشخص الذي تنوي التميز عنه او رفع شعار التعصب ضده. ويحار محرجي، ويحاول ان يبرر طرحه، ولكن هيهات!

فانت قد ولدت في هذا البلد او ذاك، وفي هذه المدينة او البلدة والقرية، ومن هذه العشيرة، العائلة، العصر، وعلى هذا الدين، وتلك اللغة...فهل كان بفضل احد، او باختيارك، ام انت "ملقى في هذا العالم"؟...وماذا لو ولدت في احوال اخرى غير ما انت عليها الان؟ اتظن انه سيكون من السهل عليك "تغيير" ما انت عليه؟ واذا، فلماذا تتعصب، وتتعالى، وتنظر الى الاخرين نظرات غريبة؟

ولست اطيق العقد، نفسية كانت ام فكرية. ككره بعض الالوان، وتجنب بعض الارقام، والاماكن، والعادات، والاعتقاد جازمين ان العكس هو الصحيح. فهناك الكثيرون من ينفرون من لون او طعام او رقم او شيء معين، وقد يصل البعض الى اعتبار التحذر والتجنب تحريما دينيا...ولست ابغي هنا محاججتهم على معتقد، ولا حتى على قناعات وآراء، فهذا شأنهم، ولا احراج في الفكر والمعتقد والممارسات، بل " لا جدال على

الاذواق"...انما ما اريد قوله، ان لا تشكل هذه الامور عقدا نفسية تتركهم مرضى وسواس يشل العزم والانفتاح والابداع.

ولعل مسألة القسمة والنصيب ايضا تدخل ضمن ذلك. فمن يعتقد ان كل ما في الوجود، ولاسيما في حياى الافراد وحياتهن هو قسمة ونصيب، فلا يحرك ساكنا، او يتشاكى ويتباكى طيلة الوقتن او يلعن الحياة وما فيهان فانه بحاجة الىطبيب روحي قبل الطبيب النفساني والفيزيائين فهو مريض ذهنية ليست بسليمة، وليس من السهل تبديلها، انما ليس هناك ما هو اهم من هذا العمل: ان يدرك بأن الكثير، بل الاكثر، الذي فنا هو منا. مؤكدا، بفضل الله ونعمة من حبه، وللظروف ايضا دور كبير، انما الامر الاعظم، وهو الاساسي والاهم، متوقف علينا نحن، لا على الاخرين. ان كنتم غير مصدقين، فجربوا، وسيكون النجاح حليفكم. اؤكد لكم هذا.

ولعلي اشد ما لا اطيق الكذب، الدجل، النفاق. وازيد، وقد تستغربون: فانا لا اعرف لماذا يلجأ بعض الناس الى مثل هذه الامور. وقد ناقشت الامر مع الكثيرين فابدينا جميعا آراء متعددة، وحاولنا اعطاء جواب، لا القاه حت اليوم شافي. فمنا من قال ان السبب هو ضعف الشخصية، وغيرنا ان السبب كامن في الانتفاع والمصلحة الشخصية. وشخص آخرون الحالة في تكبر الانسان وتجبره عن غير أهلية وجدارة.وقال البعض : انها البيئة العائلية، المجتمع'، احوال الحياة وظروفها. وقال غيرهم... لعلي اليوم اقترح جوابا آخر: انه كل هذا واكثر. وفي هذا الجواب ايضاح كبير، وليس كما قد يتبادر اول الامر الى الذهن. فانا اقصد ان "عدم الوضوح في الحياة" هو السبب الحقيقي الذ يقود الانسان الفلاني الى خبط عشوائي في

ذاته، فلا يميز بسهولة الخطأ من الصحيح، وتتعكر الاجواء فلا يبصر جيدا ولا يشخص الامور والمواقف ويكتشف حقيقة الاشخاص والاحداث، ويصعب عليه ان يقول انه لا يرى، ولا يعرف، ولا يستطيع، فيلجأ الى الكذب والخداع، والدجل، والنفاق...

(40) الطبيعـــي وغير الطبيعـــــي

لا يمكنني ان انساه، فقد كان يتعبنا الى حدّ القرف كلما شئنا القيام بمحاورة او لقاء او دراسة...كان يردد على مسامعنا بتكرار واصرار: انتم تعقدون الحياة والامور. اتركوها على طبيعتها... وفهمنا مع الوقت بانه لا يريد اجهاد نفسه، ويكتفي بالقليل القليل، وبحجة عدم تعقيد الحياة والامور. لقد كان يرفض حتى الالتقاء لتدارس اي شيء، وكأن الامور ستسير عفوية طبيعيةن بدون فكر وتخطيط وهدف وهمة خاصة...

وجاءتني يوما مقولة ارسطوطالية توماوية، اشاعت في اجوائي بعدا سيكتمل مع الايام، واولدت قناعة غدت يقينا ثابتا. اذ يقول الارسطوطالي توما الاكويني: "الطبيعيات ليست فينا"! وتحار للوهلة الاولى، وتود الاعتراض بل المحاججة، اذ كيف يمكن ان لا تكون الطبيعيات فينا ونكون طبيعيين؟ وما الاصح والاجق: ان نكون طبيعيين ام لا طبيعيين؟

كلا، ليس المقصود هو ما يسوقنا الخيال وحتى الفكر اليه بشكل "عفوي". اي ليس بمعنى انه على المرء ان لا يكون "طبيعيا"، ان اخذنا مصطلح الطبيعي هنا بمعنى يعارض المصطنع. انما القصد هو ان لا شيء طبيعيا،

اي غريزيا، عفويا، ولاديا، يبقى في الانسان على ما هو ن ويستمر كما هو، وينمو ويتكامل دونما تغير يكاد يكون "مختلفا" عما كان عليه في البدايات. بل وثمه ما هو اكثر من ذلك: انه على الانسان ان يطور طبيعياته الى ما هو اكثر انسانية، لكي يحقق الهدف الانساني في الحياة. ولئلا نظل عائمين في فضاء تجريدي بعيد المنال، اسوق امثلة بسيطة هي في متناول الجميع. فاتساءل: من منا يأكل طبيعيا، ويعيش طبيعيا، ويموت طبيعيا؟

بينما ياكل الحيوان "طبيعيا"، اي يتناول غذاءه دون اي اعداد ونظافة وذوق، لا يع الانسان الا ان يصرف الساعات، ويخترع شتى الوسائل، ليعّد طعامه قبل ان يتناوله "انسانيا"، لا "طبيعيا". وليست المدارس وطرق التعليم امورا طبيعية، ولا وسائل العيش الاخرى في الملبس والسكن والتنقل وسائر ما نستخدمه في مرافق الحياة، بل وحتى في تشييع موتانا ودفنهم، ليست طبيعية البتة. انها نتاج وعي وفكر وثمرة جهد وابداع، تتجاوز "الطبيعي" بكثير. وفي هذا تكمن قيمة الانسان.

فحذار من "الطببعيات"، وسعيا دوما نحو النمو والتطوير والاكتمال والابداع.

(41) ثـلا ثيـــة ــ بل ر بـــا عيـــة

قال لي يوما: انت تختار دائما عناوين مثيرة. فقلت : بل اللغة فن، والكلام، والكتابة، واللخطابة، والا فما الفرق بين بليغ واديب ومن لا

يعرف كيف يجذب انتباه احد...وهو اسلوب نتمرس عليه، دون تقليد ومحاكاة ماديةن لان ما لا ينبع من الاعماق، وباسلوبنا الخاص الفريد ن لن يعبر عن الذات. لذا كانت هذه كلها خلجات، خواطر، ومضات، وحوارات. اما كونها جوارات، فان الذات التي لا تحدث الاخر، تظل رهينة وسجينة، بل جامدة ومعقدة وشبه ميتة.

ولكن، ما الثلاثية، وما الرباعية؟

قال الكثيرون: الانسان نفس وجسد. واضاف آاخرون انه : نفس واجسد وروج. واكتشف علماء النفس انه: روح، ونفس، وجسد، ومشاعر او احاسيس هي غرائز او دوافع او بواعث موجودة في الاعماق، سواء ظلت مكبوتة او ظهرت وفعلت ولبيت، فان مفاعيلها مؤثرة، وبشدة، على الانسان وسلوكه. وقلّ من يتنبه لها. لذا كانتا مآس طكثيرة، بين الاهل والاولاد، بين الزوج والزوجة، بين المواطن والدولة، بين المتدين والقيميّن على امور الدين...

لو قال كل منا: من يقابلني، او هو معي، او اتعامل واياه، هو "بشرط ن له روح و نفس، وجسد وماد'، واحاسيس ومشاعر وغرائز، لاستقامت امور كثيرة، ولكانت العلاقة حتما مختلفة تماما عن تعاملنا مع ارقام، انفس، بطون، واشكال هي اشباح، او قوى هي عمياء. و من منا لا يكثر تعامله وكأن "الاخر" هو آخر ليس الا، وليس انسانا؟...

وينشأ التطرف، وعلى كل صعيد. وما اتعس التطرف، في كل شيء. فان انت اتخذت الاخر روحا ونفسا، ونسيت ابعاده الاخرى، قضيت على جوانب لا بدّ لك ان تراعيها حقها ايضا، وهكذا تفعل الام التي تحسب

طفلها قطعة لحم ليس الا، والدولة التي تعتبر الشاب آلة حديد، والمعلم الذي يخال تلميذه "حسابة" (كمبيوتر)، والعلم بنك معلومات، والعامل الذي ينظر الى العمل كمصدر رزق وعيش وتحصيل للمال ليس الا.

وهكذا هي الحال في الامور كلها. علينا ان نتطلع الى سائر الاوجه، ونلمّ بجميع الابعاد، ونتناول اي موضوع بشمولية تؤهلنا ان نخرج بنظرة صائبة، وحكم صادق، وموقف سليم، حينذاك فقط نقوى على القول اننا وفينا الاخر حقّــه. اليس هذا ما نطلبه من الاخر حين يتحدث الينا، ويتعامل معنا، ويحكم علينا؟

(42) رفيقـــــة العمـــــر

رفيقة العمر، ليس من تلازمك طيلة الحياة وكفى، بل من تصبح واياك شريكة في الحياة. وكذلك شريك الحياة.

بوسعك ان تقضي سنين طوالا، بل العمر كله، بجانب او مع اشخاص، واشياء، وفي اماكنن او وظيفة، وتظل هذه كلها بعيدة عن حياتك، لا تمسك في الصميم...واظننا جميعا سنتمكن من تقديم لوائح مطولة لاشخاص او اعمال او حالات هي ملازمة لنا، لكنها متباعدة عنا. كما يحصل العكس تماما. فهذا شخص، يستحوذ عليك منخلال لقاء واحد، وهذا كتاب، ولوحة، وصلاة، وحالة...فهنا ايضا لا قيمة للزمن، بمعناه العمودي، التدرجي، الكمي، بل للعلاقة ومدى تأثيرها صميميا.

وشريكة الحياة قراءة تلازمك دوما، او امرأة تصبح زوجة وام اولاد، او احد ذويك او اصدقائك، او هواية، او مهنة، او حالة او طريقة او عبادة... كانت كل شيء في حياتها، ولما سافرت، انهارت حياتها تماما. انها اعزّ صديقة.

دبروآ له كل الامور، فاولاده بعيدون منذ سنوات، اقنعوه اخيرا بمغادرة البلاد للالتحاق بهم، ولمّ شمل العائلة المتلاحمة بشدّة، لكنه عدل عن رأيه في آخر لحظات. السبب؟ حديقته. لم يقو على مفارقتها. ولجأوا اليّ لاقناعه، فانا صديقه الصدوق، وحاولت، فقال لي اخيرا: اتريدني ان اموت؟... فهمته، واقنعت الاولاد بان يكفوّا عن الحاحهم لئلا يوقعوا الاذى به.

لكنها الظروف، بل الحياة، قد تفرق بين شريكي الحياة، سواء بتغيير المكان، ام العمل، ام الحالة...ولاسيما بالموت. فما العمل حينذاك؟ انها من اصعب الامور واقساها. فانت تتحمل كل شيء، الا انتفاء علاقة هي جزء منك.

ولكن...هل بوسع احد ان يبتر علاقة كهذه، من الخارج، وينهيها؟ لا اظن. لذا كان الايمان بالخلود راسخا.

وتصعب الحياة، بل قد تغدو مظلمة، ومرّة، ولا تطاق...وهنا يأتي دور الايمان العميق.

انما، وقبل كل شيء، لا بدّ من ان نسأل انفسنا: هل نحن في شركة حياة مع...؟ ان كان الجواب الايجا[، فمن المستحيل ان تنتهي. والا، فهل انت على قناعة مختلفة؟ املي ان لجميعنا شريكة حياةأ او شريك حياة. لاننا

لسنا عصافير سائبة نلقط الحب من هنا وهناك، بل اناس عالم، ومجتمع، وعصر، وقيم.

وهل افشي سرّا اذ اقول: ما اجمل ان يحظى المرء بشريكة حياة، ولتكن كتابا، صورة، مبدأ، هواية. واتمنى ان تتجسد شخصا، امرأة، صديقا، انسانامثالا. وربما اكثر من واحد، انما بروح الحاجة الى الواحد.

(43) الكمال في كل شيء

دعانا الى عشاء. وكانت الجلسة مريحة، والاحاديث متنوعة، مسليّة، مفيدة، ومنسجمة مع اعمار المدعوين، رغم اختلا ف السنين. فقد كان مثقفا، لبقا، ذكيا، اختبر الحياة. وقد لا تصدق، فهو مريض، وبوسع اي آخر ان يقلب الحياة، حياتة وحياة عائلته والاخرين جحيما، بينما كان هو نجما متألقا، ليس في ذلك المساء، بل كل الايام. يحدثك عن الايمان والاديان، فاذا به معلومات وقناعات وعمق. ويكلمك عن السياسة والاقتصاد والعلوم، فاذا به خبير متمكن. ويصف لك بلدانا عديدة زارهااو عمل فيها، فاذا به قد استوعب الاساسي الذي فيها. ويصف لك اكلات شهية متنوعة، فتحس وكأنك تتذوقها بل تاكلها فعلا. ويزرع النكات بين حديث وآخر، وكأنها فواصل فنية تتخللها مقطوعات موسيقية تبعث في جوّ الامسية اللطيفة عبقا وعذوبة.

لا تعجبني الولائم التي ليست سوى للاكل. كان يدعونا لغداء او عشاء، ويجهد النفس في اعداد كل شيء، وباحسن ما يمكن وألذ ما نستطيب. لكنه

كان لا يتكلم طيلة فترة الغداء او العشاء، وكان من الاحراج الكبير ان ينبري احدهم فيتحدث، بينما صاحب الدعوة ساكت. ستقولون: انها طبيعته. واقول: ان طبيعة كهذه ينبغي ان تتبدل! والا فما نظن: هل ولدنا كلنا متحدثين، لبقين، عارفين، خبراء؟... بوسع الجميع ان يصيروا، ولو بدرجات. اما ان يبقوا دمى، او ينقلبوا بطونا، او تتخذ المظاهر لديهم اهم موقع، فالف لا.

ولست اريد بهذا تأييد صديق كان يتردد في الكتابة، وفي القيام باي عمل...لانه لم "يكمله" بعد. وكان يساوي بين التكميل والكمال، والانجاز والتمام. واذكر اني كنت احاججه بقولي: اتظن انه سيمكنك يوما انجاز اي شيء كاملا مكمّلا؟ فيتردد في الاجابة، وتفهم من تردده انه محتار فعلا. طبعا انا اعطيه الحق في عدم الاستعجال وحرق الاوراق والمراحل في اي عمل كان

انما لا بدّ ايضا من تقديم المنجز، حتى لو لم يكن كاملا، والا لما اكتمل شيء عللى الاطلاق. واقرّ بصعوبة التوفيق بين الكمال وتوّخيه، وضرورة القيام بالاعمال. ولعل الحل في التأكيد على "الاتقان" في كل شيء.

(44) الألم و الحـــــــــب

يظن الكثيرون ان الحب يلد الفرح، والا فما طعم الحب ؟
واقول: لا حب بدون ألم. وازيد: من لا يتألم لا يحب.

جلمود الصخر لا يحب، لانه لا يتألم، ولا الحديد، ولا الجليد. وقد اكون مخطئا، قثمه من يقول ان الطبيعة ايضا تحس، وان الحس الطبيعي يؤثر على اصلب مادة. اما الجليد فيتحول ماء، والحديد نارا، والصخر لوحة رائعة. والنبات حساس، والحيوانات ذات احاسيس، والمشاعر في الطبيعة كثيرة.

والشعور اكثر من الحس. انه وعي يستحوذ على الذات باسرها، فلا يبقى مجرد احساس موضعي او جزئي او مؤقت. الشعور شيء انساني شامل. كنا نتحدث عنه. وقد كان "فاضلا"، لكنه صلب، تقليدي، جامد...وحاولنا ان نحلل طبعه، عقليته، نفسيته...فعقبت: لا نفسية له، لان لا شعور له. انه لو احب نملة لشعر بآلام الناس. فضيلته من نوع يختلف عن طيب الله وحنوّه وقلبه.

الله حب. لذا فهو يتألم. سيقولون باننا نكفر، اذ نجاهر بهذا. ولكني اسالكم: اتظنون ان الله سكون جامد، وكمال لا حالات متنوعة فيه؟ انه حي، وسمة الحياة انها متحركة، وهو بذلك ينفي الجمود والسكون. وهل تظنون بان الله لا يتأثر لألم خليقته، وابنائه وبناته؟ اي مبدع هو هذا الذي لا يتأثر ان تشوهت رائعته؟ واي أب لا يتألم ان لحق ابنه الاذى؟

كثيرون، مع الاسف، يتصورون ان الهنا يتطلع الينا من علياء سمائه، كتفرج. ويزيدون: انه يراقبنا كشرطي. ويكثرون: انه يسجلّ كل حركاتنا وسكناتنا لكي يحاسبنا يوم الدين. هذا الاله ليس الهنا.

الهنا أم تحنو على اولادها، وصديق خلوص يريد الخير لاصدقائه، وراعم يسهر على مراعيه ويبذا ذاته في سبيلها، وحب هو عطاء يمنح الفرح.

ولانهم انانيون، فهم قساة. ولانهم جهلة، فهم غلاظ القلوب. ولانهم لاابليون، فهم كسالى. ولانهم ممتلئون من انفسهم، فهم لا شيء. وكثيرون كثيرون هم كهولاء. تلقاهم في كل مكان وزمان. انهم بلا شعور، فلا تعجب ان عرفت انهم خالون من الانسانية والمبادئ والقيم.

كنت عائدا من تشييع احد شبابي، سقط في معركة ضارية، وكان وجهي مكسوفا، والقلب منقبضا، والنفس حزينة. فسألني احدهم: هل هو من اقاربك؟ قلت:كلا، لماذا؟ فقال: لانه يبدو على سحنتك امنارات حزن شديد. فقلت: وكيف تريدني ان اهدأ او لا اتأثر، وهو واحد من شبابي، بل يكفي انه شاب، وانسان. اما ان يكون من الاقارب ام لا، فانا لا يهمني هذا بشيء.

انا لا اطيق من لا يتأثر لالام اهاله، واولاده، واقاربه، وافراد مدتمعه، وابناء بلده...وكأنه لا وجود لهم بالنسبة اليه، فهو هو، والاخرون هم غرباء، بعيدون، بل اغراب!...

تراه يتحرّق لدى سماعه او رؤيته او مشاركته حالة او حدثا او واقعة فيها من المأسوية، بينما ترى آخر يحاول اسكاتك بقوله: ماذا عليك، وهل انت المسؤول، وماذا بوسعك ان تفعل؟ ولعلك تتأرجح بين اي من الموقفين تتخذ. هل تترلادد حقا؟ اسفي عليك.

كن ذا قلب رقيق، والا فانت جلمود صخر.

(45) لا بأس عليـــــك ..

كانت تخشى ان يفضحها، فتوسلت اليّ ان اساعدها. فقلت: لا بأس عليك. اما المساعدة فواجبة، ولا حاجة ان تتوسلي، ولا حتى ان تقولي، فاني سافعل لا محالة. انها مبادئي واخلاقي، فانا للآخرين، وكلي لهم.

يكون الناس عادة الى جانب الاقوياء والمتمكنين والمتنفذين، والانسان الانسان من يقف الى جانب المظلوم، ومهضوم الحقوق، ومن على الهامش من الحياة. ولا تكن الا ممن يفعلون كذلك.

ليس هذا تضامنا وحسب، انه مبدأ، وهدف، وتحقيق ذات.

سيقولون لك: كثيرون فعلوا ذلك، فماذا ربحوا. اجل. لو كانت الحياة ربحا او خسارة، لاعطينا الحق لهذا المنطق. انما الحياة اكتمال، ونضوج، وامتلاء. ووحده من يعطي يمتليء. فلا تكن فارغا.

وستكون اقوى بكثير مما تتصور، لان القوة الحقة في النضج والامتلاء بتناغم وشفافية وانسجام. وكثيرون جدا، لاسيما ممن لا تعرفهم، سيكونون معك، وليس ساعة العوز والشدة وحسب، بل كل آن وحين.

انه سرّ الانفتاح، والجماعية، والايمان بالانسان، وبالله، على نحويختلف كثيرا عن انتماء عفوي، طبيعي، غريزي، دموي، قبلي، طائفي، مذهبي. انها العلاقة العميقة التي تجمعك بالناس جميعا، وتوحدنا كلنا بفضل الاب الاوحد والشامل.

حينذاك تعرف انه لا بأس عليك حقا، مهما قست الظروف.

(46) العـــادي و الفـــريـــد

كنت في بدايات الامر افاجأ بمن يقول لي عندما اكلمه: اجل، "عادي"...وكنت اتساءل : ماذا يقصد بتعبيره هذا؟ ثم تبيّن لي ان الغالبية يتصورون الحياة سير وتيرة روتينية، وطبيعي جدا ان يعيشها الانسان بشكل عادي، دون اية اضافة، نوعية خاصة.

وبشان الاضافة، لا افتأ اكرر على مسامع طلبتي الاعزاءن اذ اكلمهم عن مقومات البحث العلمي : ان اي بحث، ان لم يضف اقله ثلثا جديدا فهو ليس بحثا. وللا يفهموني خطأ، اعقب: انما ليست الاضافة كمّا وكفى، فقد تكون مسارا جديدا، او كشفا نيّرا، او نهجا مختلفا، او...وهو ما يسمى بالجديد في المعرفة، وهو بالتالي ما يطور العلم ويبني الحضارة. واشرح فكرتي بضرب امثلة متعددة: فقد يضيف احدهم الى بحث انساني معلومات لم تكن معروفة، من خلال عمل ميداني او الكشف عن وثاق مغمورة، او قد يصحح اخطاء شائعة من خلال تدقيق وتمحيص، وقد يغير مسار البحث من خلال فكرة جيدة، وقد يكتشف مفاهيم وابعادا لم يدركها غيره من خلال قراءة متعمقة، وقد... وكذلك على الصعيد العلمي. وقد تكفي اشارة ضوئية واحدة لكي تبعث دفينا، او تضفي جديدا متميزا، او تضفي مسحة نوعية على شخصية ما، او ظاهرة، او حدث، وصولا الى تقديم خبرة انسانية فريدة، شخصية تخص فردا او افرادا، او فكرة تسري على الجميع، او اختراعا يطور العلم، فهي كشوف اوجه حقيقة لا ينضب معينها.

والاهم هو ان التميّز، والفرادة، لا التكرار الروتيني والمحاكاة التقليدية.

ان تكون انت، هو المطلوب. وان تحقق ذاتك هو الهدف. ولا بدّ قبل ذلك ان تعرف ذاك.

والاهم من كل شيْ: ان لا ترضى بان تكون عاديا.

لم يقم في تأريخ البشرية كلها شخصا عاديا حفظ التأريخ اسمه وذكره. وليس من باب التواضع ان تقول : انا لا اطمح بان اكون مختلفا، ولا ان اظهر وابرز دون الاخرين. كلا، فليس القصد هو هذا، وليست هي دعوة ضد التواضع ومعرفة حدود انفسنا، انما التميزّ امر مختلف عن الترفّع والاعتداد، والفرادة مسعى اساسي لتكوين الشخصية. ومن لا يريد ان يسير في النور مترقيّا الذرى، لن يلقى النفس الا في متمرغا في حضيض الواقع اليومي العادي.

كنت وما ازال اعجب لمن يقضون الايام بطولها وهم لا يفعلون شيئا. ولعل غالبية الناس لا يفعلون شيئا. ولكن: علينا ان نميز بين من يبدو عملهم او لا عملهم روتينيا، بلا معنى، ولا جدوى، وبين من يقومون بالعمل اليومي بروحية خاصة. وهناك حتى من "لا يعملون"، من هم متيمزون في الحياة، اقله من باب لا يدركه عادة من يريدون الحياة عملا ماديا وحسبن او انتاجا اقتصاديا، او اضافات كميّة، واحياة الناس اكثر من ذلك.

كانت تضع قلبها في الطعام الذي تعّد، وكان يطيب لكل من يجالسه ان يجالسه كل يوم، وكان يتقن علمه الى حّد الابداع، وقد عرفوا قيمته بعد تخلّيه عن العهمل بسبب المرض، فقدرّوا تميّزه في العمل، وكانت تصلي بحرارة ضاّمة في الصلاة اشخاصا واحداثا وبلدانا لم يكن الكثيرون

يتخذون سوى موقف المتفرجّين منههم منها. هولاء جميعا متميّزون، لهم اضافات نوعية، وفرادتهم في شيء ربما لاتلمسه بالايدي، لمنع احق واعمق وانفع.

(47) ارى الشرّ في كل شيء

لم تكن هكذا. كانت فتاة جميلة، مجّدة، حريصة، مؤمنة، ملتزمة، سخيّة، معطاء...لو كان مسموحا لقلت: قديسة. وتتالت الايام، ودخلت معترك حياة لم تكن موفقة في احداث تفاصيلها، اقله من وجهة نظر شكلية عادية، فانقلبت تساؤلا، واعتراضا،ما لبث ان اصبح تشكيّا، ثم توجسّا، ثم قناعة بان ما يحدث، لها بالذات، هو من قوى الشّر، وبفعل رقى السحر والشعوذة. وحاولت اقناعها بانه من الممكن تعليل الامور باكثر من شكل ولاكثر من سبب، وكانت تصرّ بعناد: كلا، انها قوى الشّر، واعوان الشر كثيرون.

عرفناه، خبرناه، حللناه...سنوات طويلة كأنها دهر، سيطر فيها، بدهاء، وخبث، وابتسامة صفراء. لم يعمل الا بتستر، وبشكل غير مباشر، من خلال الاخرين، وكان كل شيء، ولم يكن لاحد، عادة، ان يتهمه بجريرة، فهو بريء تماما، في الظاهر، وهو هو المجرمن في الحقيقة والواقع. هذا هو واحد من اعوان الشّر، بل من قواه الكبرى!

لكنني لا احب لك ان ترى الشّر في كل شيء، وكل مكان، وكل آن. هناك الخير ايضا، وهو كثير جدا.

لم اكن اعرف ان في المكسيك أزمة جوع، وفي الصومال نوبة طاعون، وفي اندونيسيا مشكلة تعصب، وفي...واكتشفت هنا وهناك اشخاصا، بل جمعيات ومؤسسات تعمل من اجل الحدّ من هذه الازمات والتخفيف من معاناة اناس لا ناقة لهم فيهم ولا جمل، بل ثمه فقط دافع انساني وايماني يلهب قلوب كثيرين. انه الخير. فحق لافلاطون ان يجعل الخير هدفا اسمى.

ايام حربنا سواء مع ايران او التحالف في حرب الخليج، اذ كنت اقصد بلدانا اوربية، كنت اكتشف اشخاصا، ومجاميع، بل كنائس ورهبنات بكاملها، قد صلوا من اجلنا، وساعدونا بشتى الطرق، بل ساعدنا اناس من بلدان لا نتوقع اطلاقا ان يأتينا العون منهم، ويكاد لا نعرف حتى اسماء بلدانهم.

فحرام ان نرى الشّر وحده. انه واقعنا: خير وشرّ. ولكن...

لم يكن العالم للخير والشرّ، وليس عالمنا للشّر ايضا، وجوبا. انه للخير فقط. وليس اله مسؤولا عن الشّر. انه اله الخير وحسب. وتصحيح مفاهيم خاطئة كثيرة عالقة بل راسخة في اذهاننا، هو المطلوب جدا في ايامنا، ومجتمعنا، وعالمنا. انما المطلوب ايضا تشخيص قوى الشّر، وعدم نسبها بسهولة واستسلام لقوى السحر والشعوذة.

اذكر نقاشا محتدما دار بين مجموعة "مثقفين"، ولم ننته الى نتيجة ترضي الجميع. لقد كان حول وجود الشيطان، وهل الشيطان حقيقة ام خيال، هو هو روح مشخص، ام فكرة، او قوة، او... واذ كنت احاول، ويحاول غيري، شرح حقيقة الشيطان على انه قوة شّر، ويعترض آخرون

مستشهدين بآيات من الاسفار المقدسة، ويبلغ الحوار حدّ الاحراج، ليتوقف بعد ان يصبح احتجاجا...اذا بي استذكر كلاما كنت قد سمعته منذ سنوات من احدى العجائز الحكيمات: الشيطان؟ لقد توارى وانتهى، ولكن...لقد تحولّ الانسان في عصرنا هو نفسه شيطلنا! على الرغم مما في القول من تحامل على العصر، فان التأريخ يعلمنّا بان أناسا كانوا اكثر من شياطين. وكم من مجتمع، ومؤسسة، وشعب آذته احابيل افراد ومجاميع جسّدوا الشّر اقوالا وافعلا ومؤامرات وفسادا...

ربنا، ساعنا لنتقي الشرّ وقواه، بل، وهو الاصح : نجنّــا من الشّرير.

(48) جــو ع و عــطــش مدى الحيــــــا ة

اهديت هذه الخلجات الى كل من يجوع ويعطش، والى كل من يعرف بان للجوع والعطش معاني غير المعنى المادي وحده، وانه لا اكتفاء مطلقا على الصعيد النفسي والروحي والابداعي، لا للفكر افقا غير محدودة، وللقلب اعماقا كالبحر، وللعطاء قابليات لا تنضب. ويسرّني ان اضع حدّا لهذه المجموعة من الخلجات، بخاطرة مكملّة هي : جوع وعطش دائمان، ولاني اؤمن بالجياة، وبحياة هي حياة خلود، فان جوعنا وعطشنا دائمان مدى الحياة، اي على الدوام، ومدى الابد.

وسيستغرب البض هذا، فهم قد اعتادوا ان يسمعوا بان الجنّة، الفردوس، الحياة الابدية، اشباع بل شبع، وارواء بل ارتواء، فكيف يمكن القول بجوع لا ينقطع وعطش لا ينضب؟

جوابنا هو: هنيئا لمن يظل جائعا وظمآن، ولا يعرف ان يشبع ويرتوي. اما الشبعان والمكتفي فبطن , وضحالة، وتخدير. ألم تجربّوا الشبع حتى التخمة، والشرب حتى السكر؟ ان اتعس الحال حال من يعاني من التخمة وثقل الرأس بعد سكر شديد.

لكنها معاناة حقيقية ايضا حالة للجائع والعطشان. فكيف نعللج الامر؟ يتوقف الامر على مفهومنا للجوع والشبع، والعطش والارتواء. وانا من القائلين باني لن أنكف عن الاكل والشرب، فكريا، روحيا، ذاتيا، ودون ان يقتصر ذلك على أكل وشرب يقوم به النبات ايضا والحيوان. ففي الانسانطاقة عظمى، بل الانسان بذرة لا بدّ أن تنمو وتتكامل، ويتجدد نموّها وتكالها على الدوام، فلا تتوقف، ولا تجمد، ولا تنتهي.

الحياة سرّ، لكنه سرّ الوجود. والوجود أعظم قيمة، وأكمل حقيقة، واروع صورة وحالة وكمال.

(49) الابيض والاسود

تعجبني المبادئ ولا تعجبني الحدّية في الامور. واهوى النظام، لكني لا اريده سيدّا يتحكّم في رقاب الناس جلادّا. وأنا مع الحق مهما اشتدّت المضايقات او المغريات، ولكني لا اقبل الحق سيفا، مسطرة، رقما، وفكرة مجردة.

" يا ابيض يا اسود". أنا لا أطيق هذا. ويختلف هذا عن قول ال "نعم" او ال "لا"، وعن اتخاذ موقف عادل وسليم من الامور، كما عن عدم التقلّب والتلّون والمساومة...

طبيعي ان ننظر الى الابيض وكأنه هو الاصح، وننظر الى الاسود وكانه الخطأ والعماء. بينما هناك أبيض فارغ كالورق، وأبيض فاسد، وابيض مجرم.

بينما هناك أسود جميل كالعين والليل والحرف النيّر.

كثيرا ما يتخذ البيض والسمر موقفا تعصبيا من السود، خلفيته دهور جهل كونّت عقليات منغلقة. وحين يتاح لنا ان نتعرف على اسود طيّب، وكثيرون هم السود الطيبّون، تختلف الصورة المرتسمة في ذهنيتنا، ويتحول السواد بياضا ناصعا وشفّافا.

فلا للاحكام المسبقة، ولا لاوهام الذهنيات الجامدة الخالية من مسامات الحياة. الحياة تنوّع كبير جميل، والموت وحده متساو في الشكل والحالات.

لو لم يكن الاسود لما عرف الابيض ولما كانت الالوان، لان الابيض مصدرها، به ينكشف ويبان.

أما سواد القلب او تشبيه الخطأ والخطيئة، والاثم والجريمة، بالاسود والسواد، فحصيلة عقلية بيض وسمر لا يحق لانسان اليوم ان يقرّها أويتمسّك بها، لانها منافية للحق والواقع.

ليتنا نحب الاسود كما نحب الابيض، وليتنا نكره الابيض والاسود متى كانا على غير حق.

الابداع هو الهدف، ولا ابداع في الحياة الا بخلق انسجام رائع بين الالوان من خلال الاسود والابيض، فتتخذ الموجودات كلها لونا هو أكثر من لون واحد، لانه تكوين اساسي متناغم يمدّنا نحو جذور الاصالة ويسمو نحو أفق التسامي اللامتناهي.

عناصر ثلاثة تلعب دورا في تكوين الابداع: المادة والموضوع والتعبير. مادتنا هي ذاتنا، وموضوعنا هو تكوين روعتها، وتعبيرنا هو حبّ العطاء. متى اصبح هذا وجودنا، كنا خالدين.

(50) كل شيء جميل

كانت يائسة، فقد عيرّوها منذ الصغر، حتى ابوها وأمها وأهل بيتها، بانها دميمةن فاقتنعت بأنها غير جميلة. وكبرت على هذا الوهم، حتى اصبح الهاجس قناعة راسخة. وما اصعب على الفتاة ان يقال لها باك لست جميلة.

رايتها في حالة يرثى لها.وسألوني ان اتحدث اليها. بعد اطلاعي على الحالة، نهرت الاهل أولا، فهم بعيدون عن أصول التربية الصحيحة حقا. ثم التفتّ الى للشابة المتعبة وقلت: لا تصدقيهم ابدا. فليس في الكون انثى غير جميلة، بل ان كل انسان هو قطعة جمال لا يوصف.الانسان هو رائعة الدنيا. والمرأة جميلة ابدا.

واذ رايتها قد تشبعت بافكار خاطئة، منها ان "القرد في عين أمه غزال"، فظنت اني أجاملها لا غير، وانها فعلا، نسبة الى قريناتها العديدات، ليست

جميلة، قلت لها: كلا، يا عزيزتي، فانا لا اجاملك. انها الحقيقة عينها. لان جمال الانسان ليس في وجهه وحسب، بل في ذاته خاصة. ثم ان الجمال شيء نسبي، كما ان اجمل ملامح وجه بوسعها ان تكون بشعة اذا ما عكست نفسية لا تطاق. فالمجرم بشع مهما كانت تقاطيع وجهه رائعة. والانسان الطيّب الخلوق المعطاء جميل مهما قيل ان شكله غير مقبول، على صعيد المقاييس الجمالية العادية المادية. كما ان هذهالمعايير متحركة وفقا للازمنة والامكنة، كما بشأن السمنة والامتلاء، او الهزال والنحول والرشاقة، وكذلك بالنسبة للون، والطول وغير ذلك من أمور.

ما ان التقيته حتى حاولت تجنبّه، فهو مشوّه الوجه والجسم، وعيوبه الجسمية مقززة. لكننين وبحكم التقائي به مرات ومرات، أحببته، بل اخذت أرى تلك العيوب محاسن، وارى في تلك التشويهات جمالية لم اعهدها من قبل، مؤكدا بفضل العلاقة الودّية التي جمعتنا.

وأذكر يوم فاجأنا أحد رفاق الرحلة بصراخ مرعب. واذ قصدناه ركضا، كنا حيال حيوان أشار اليه صاحبنا بقوله: انظروا كم بشع هو هذا الحيوان الغريب. لقد كانت الحرباء. وأذكر اني عقبت بكل هدوء: لكنه ليس بشعا الى هذا الحدّ الذي وصفته به. فقال: كيف؟ واذكر اني اعطيته درسا يومها في البشاعة والجمال، وخلصت الى القول: ليس في الكون شيء بشع. كل شيء هو جميل. ولعلنا نحن من نضفي البشاعة على الاشياء الجميلة...فالبشاعة هي منا، لا من الاشياء. والا فماذا؟...

الدعوة الى الصلاح والفضيلة دعوة الى الجمال. لذا اعتبر افلاطون الجمال مثلا أعلى، وكان محقّا، لانه ثمرة الصلاح والخير والحب. لكنه

سخر من عشاق الالوان والانغام والاضواء، ان هم لم يعرفوا ان يرتقوا بافكارهم الى الجمال المطلق، ويلقوا في اعماق ذواتهم من هو الجميل في ذاته.

لن تكون جميلا الا ان كنت خيّرا وطيّبا ومعطاءنفان الجمال الحقيقي واقع وجودي فيه امتلاء ونضوج وسموّ. ونحن نحو التسامي والاكتمال والمطلق مدعوون ان نكون، والا فلن نكون.

آخر الخلجات :

مؤكدا لن تكون آخر الخلجات، لكنني اردت ان انهي هذه الخلجات الى حين، فكانت خمسين.

واتساءل: ماذا ستكون مواقف القراء منها؟

من يعرف، سوف يتخذ موقف الناقد، الفاحص، وربما من لا يتوقع ان يلقى شيئا جديدا. وانا لم اتوخى الجديد، بقدر ما توخّيت بثّ خلجات تبعث افكارا، وومضات، وتغدو حوارا ذاتيا مليئا باشراقات نور.

من يقّر بمحدودية علمه، سيرتاح الى بعض الخلجات، وستصعب عليه غيرها، لكنه سيرتاح في كنف معرفة هي واقعية وجودية، لا فلك نظرية مجردّة. ستتفتح امامه آفاق تكشف له عن عوالم جديدة، بل ربما سماء جديدا.

وسنعاود القراءة، وقد نلجأ الى الكتابة، وسنفكّر، وسنعّقب، وسنكّون لنا رأيا، او نستعيد خاطرة، او نوحي الى الاخرين بومضة. حينذاك تكون

هذه الخلجات قد أدّت دورها. واكون قد وفيت بعض ما للكثيرين من دين علي، فانا ابن كثيرين، والعالم، والكون، والله. وحقّ الكثيرين عليّ. وكلّي للكل.